


**Social Facts in the Novel a Woman at Zero by Nawal El Saadawi
(A Socio-literary Snyaltical Study by Alan Swingwood)****Taufiqurrahman**

UIN Alauddin Makassar, Indonesia

Corresponding Author:  Taufiqurrahman401@gmail.com**ABSTRACT**

This study aims to reveal some of the facts of life in Egypt in 1975 through the novel *Woman at Point Zero* by Nawal El Saadawi, using the theory of social literature by Alan Swingwood. The method used by the researcher is the qualitative descriptive approach, in the type of desk research in which all the data collected are Study, process and analyze it completely using literary sources. The approach used by the researcher is a multidisciplinary approach that combines the study of Arabic literature and social science. The results of the research in this study show that the social realities expressed by Nawal through her novels, which are domestic, harassment, sexual violence, economic poverty, and political support, are interconnected and even lead to the continuation of the reality of prostitution as the social reality. In Egypt, Nawal El Saadawi, as the author of the novel *Woman at Point Zero*, is a great novelist and socialist feminist activist. She had a global vision that she fought for in daily life and through her novels, and because of her global vision, her novel was considered influential in Egyptian society, especially Egyptian women, and women around the world in general. This study includes some research implications. Firstly, this research is expected to provide some description of the reality of life in Egypt, which led to the emergence of prostitution in Egypt. Secondly, it is hoped that this research will provide a complete picture of Nawal El Saadawi's life and respond to the accusations directed against her. Thirdly, through this study, this research can support the point of view about the power of literary work.

ARTICLE INFO*Article history:*

Received
December 07, 2023
Revised
January 29, 2024
Accepted
February 03, 2024

Keywords: *A Socio-literary, Social Facts Novel, Alan Swingwood*

Journal Homepage

<https://www.attractivejournal.com/index.php/aj/>

This is an open access article under the CC BY SA license

<https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/>

Published by

CV. Creative Tugu Pena

مقدمة

يمكننا جميعًا أن نتبع تاريخيًا، في فترة أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، كان الجدل بين المقاربتين في دراسة علم الأدب الاجتماعي ديناميكيًا للغاية. كانت هناك حركة أصبحت تُعرف باسم الوضعية، والسعي المادي، والعلاقات السببية التي يمكن إثباتها علميًا بين الحقائق مثل المناخ والجغرافيا والعرق، والأدب الذي تم تعريفه عمومًا على أنه يشمل الفلسفة والسياسة. والأدب مجرد ذاته مثل أي شيء آخر وله نفس المكانة في البحث العلمي. وهذا النهج الأول هو النهج الأكثر شيوعًا والذي يُطلق عليه أيضًا النظرية الوثائقية الأدبية، على أساس أن الأعمال الأدبية قادرة على توفير مرآة (صورة) لعصر معين. ونهج صورة المرأة له تاريخ طويل ولامع، وكان الفيلسوف الفرنسي لويس دي بونالد (Louis de Bonald) من أوائل الكتاب الذي رأى بأنه من خلال القراءة المتأنية لأدب أي شعب يمكننا أن نتعلم

كيف كان هذا المجتمع في ذلك الوقت. وهكذا يمكن اعتبار الرواية كالنوع الأدبي الرئيسي للمجتمع الصناعي، محاولة مخلصاً لإعادة خلق العالم الاجتماعي والعلاقة بين الإنسان وعائلته، والسياسة، والدولة. وتصف الأعمال الأدبية أيضاً دور البشر في الأسرة والمؤسسات الأخرى، والصراعات والتوترات بين الفئات الاجتماعية والطبقات. ويميل أنال سوينجوود إلى تبني هذا الرأي القائل بأنه يمكن تصنيف الأعمال الأدبية بمعنى وثائقي بحت، يمكننا أن نرى الرواية كعمل أدبي يتعامل مع القوام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يشبه علم الاجتماع تقريباً. (Diana T Laurenson, 1972)

وضد هذا الموقف التجريبي الصارم، تذهب الحجة إلى أن الأدب هو أكثر من مجرد انعكاس بسيط أو معقد للمجتمع ككل، ولكنه بالأحرى تجسيد للنضال الإنساني الأساسي من أجل الشعور بالمجتمع والأصالة، ومحاولة لفهم معنى عالم خال من القيم الأصلية، من خلال الغزو التدريجي لتقسيم العمل. وفي وجهة النظر هذه، تصبح القيم جانباً مهماً جداً من الدراسات الأدبية، وعلم الأدب الاجتماعي هو في المقام الأول دراسة القيم التي يجب أن يعيش بها الأفراد والمجتمع. ويوجد هنا مفهوم نقدي قوي يختلف عن الميول الوصفية العلمية البحتة للوضعيات. وفي سياق تطوره خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، مال علم الأدب الاجتماعي إلى فصل هذين المنظورين المختلفين، الوضعية من خلال كتابات تانين (Taine)، والميول النقدية من خلال الماركسيين مثل لوكاش (Lukacs) وغولدمان (Goldmann).

ويدرس النهج الأول لدراسة علم الأدب الاجتماعي العلاقة بين الأعمال الأدبية والمناخ والجغرافيا والمؤسسات الاجتماعية التي ينتج فيها العمل الأدبي. ويجادل هيردر (Herder) بأن كل عمل أدبي متجذر في بيئة اجتماعية وجغرافية معينة حيث يؤدي وظائف معينة ولا يحتاج إلى تقييم لقيمة التورية: كل شيء كما ينبغي أن يكون. وبذلك يكون تاريخ الأدب هو تاريخ الثقافة. (Diana T Laurenson, 1972)

وفي حين رأت مدام دي ستيل (Madame de Stael) في دراستها للعلاقة بين الأدب والمناخ الجغرافي أن الأمم الشمالية التي أوضحتها بالظلام والقاتم، والتي وصفتها بعنف الأرض وكآبة السماء، أدت إلى أن يسيطر على الأدب حزن عاطفي، والذي ينشأ من المناخ الجغرافي الذي يعيشون فيه، أي المناخ الضبابي، على عكس الأمم الجنوبية حيث الأدب الجنوبي الذي يتميز بالبرودة والغابات الكثيفة والجداول الصافية، مع وصف للحب ممزوج بمأوى الفضيلة الذي يحميهم من حرارة الشمس الحارقة. وبالنسبة للسياق الاجتماعي للأعمال الأدبية، ترى مدام دي ستيل (Madame de Stael) أن التأثيرات الاجتماعية والسياسية التي تؤثر على طبيعة الأدب لم يتم تحليلها كثيراً. (Stael, 1959)

وكان هذا النهج الأول خطاباً في مجال علم الأدب الاجتماعي الذي استمر في النمو حتى يومنا هذا. وتوقفت نتائج الخطاب عند اتفاق نظري، سواء من الوضعية أو من الماركسية النقدية، على أن عملاً أدبياً معيناً يمكن أن يكون انعكاس لواقع حقبة معينة. مقدمة لدراسته للأدب الإنجليزي كتب تانين أن العمل الأدبي ليس مجرد مسرحية للخيال الفردي أو نزوة معزولة لدماع متحمس، ولكنه نسخة من السلوك المعاصر، مظهر من مظاهر من نوع معين من العقل: الأدب يعكس بعض الحقائق والمشاعر التي يمكن التحقق منها: يصنف تانين الرواية، على سبيل المثال، بمصطلحات مشابهة لستندال، على أنها مرآة محمولة وأكثر ملاءمة لعكس جميع جوانب الحياة والطبيعة. (Taine, 1906)

وتواجه محاولة علمية للكشف عن الواقع الاجتماعي في عمل أدبي مشكلة معقدة للغاية، وهي موقف الروائي على اتصال مباشر مع الاتجاه الثقافي للتسويق الأدبي الذي يؤثر بوضوح على إمكاناته الإبداعية من نواح كثيرة، والعلاقة بين هذه الخلفية التاريخية وتطور الأدب هو مجال رئيسي في أي دراسة لعلم الأدب الاجتماعي.

وفي حالة تسويق الأدب الذي تطور بالتزامن مع ظهور المجتمع الصناعي، حيث اضطرت الكتاب بشكل متزايد إلى الاعتماد على نظام الإتاوات في عيشهم، وتحول الأدب، كما لوحظ، إلى تجارة، (Diana T Laurensen, 1972) فقراءة هذه الظاهرة، ويترتب على ذلك أن المنظور الاجتماعي للأعمال الأدبية قد تم التأكيد عليه في اغتراب الكاتبة المتزايدة عن المجتمع والذي له تأثير على أسلوب ومحتوى الأدب المكتوب، بحيث أن هذه القضية تثير نهمًا ثانيًا في دراسة علم الأدب الاجتماعي لسوينجوود الذي يركز على البحث حول الوضع الاجتماعي للمؤلف. (Diana T Laurensen, 1972)

والبحث في الوضع الاجتماعي للمؤلف كشكل من أشكال النهج لمعرفة أصالة تصوير المؤلف للواقع الخارجي في عمل أدبي تم إنتاجه يفتح الكثير من الخطاب والنقاش بين الباحثين في الأدب وعلم الأدب الاجتماعي، ويمثل المحور الأول وجهة نظر الدوغمائية الاقتصادية أو وجهة نظر السببية الاقتصادية، مع وجهة نظر حتمية إلى حد ما مفادها أن العلاقة بين الأدب والبنية الاقتصادية للمجتمع تُفهم ببساطة من خلال السببية الاقتصادية الصارمة حيث لا يتمتع الفن كأيدولوجيا باستقلالية. ويشير الناقد الفرنسي الكبير سانت بوف (Sainte Beuve)، في مقالته الشهيرة عن الأدب الصناعي، إلى انتشار التسويق والاتجاه نحو مفهوم الأدب كتجارة.

ولذلك في ضوء هذا المحور الأول، يصعب فصل الأعمال الأدبية عن الظروف الاقتصادية لمؤلفيها، تمامًا كما يصعب علينا قبول معيار الأصالة لتصوير الظروف الاجتماعية للأعمال الأدبية التي كتبها مؤلفون من الطبقة الدنيا. والمعايير الاقتصادية، والتي قد تكون نتيجة حساب احتياجات الذوق في السوق، بحيث يجعل الدافع لكتابة مثل هذا من الصعب علينا قبول الأعمال الأدبية باعتبارها انعكاسًا حقيقيًا للظروف الاجتماعية للمجتمع والقدرة على ذلك بدقة. تصور روح العصر الذي تم فيه إنتاج الأعمال الأدبية.

والمحور الثاني يمثله طبقة المؤلف ووجهات النظر الأيدولوجية، ويرى هذا الرأي أن كل الأدب مكتوب من وجهة نظر الطبقة، وجهة نظر العالم، وبالتالي يتضمن منظورًا. هل هي وجهة نظر العالم من برجيس أم وجهة نظر اشتراكية للعالم. ويرى لوكاش (Lukacs) وبلخانوف (Plekhanov) مثلًا، أن الأعمال الأدبية التي يجب دراستها ودراستها فيما يتعلق بتصوير الواقع الخارجي هي أعمال أدبية تحتوي على خطابات الصراع الطبقي. ويعمل من واقعهم الخارجي. ولهذا السبب، يجعل لوكاش (Lukacs) الولاء للاشتراكية معيارًا للإبداع الفني، بحيث تُعتبر الأعمال الأدبية التي لا تتضمن النظرة العالمية وأيدولوجية الاشتراكية ثابتة. (Lukacs, 1963) وجاء علم الأدب الاجتماعي الماركسي لإدانة حقيقة بلخانوف البسيطة المتمثلة في أن كل الأدب مرتبط طبقيًا وأن الأدب العظيم لا يتوافق مع الهيمنة البرجوازية. ولم يكن بوسع الفترة البرجوازية بعد 1848 أن تنتج أدبًا عظيمًا إلا إذا ارتبط كتابها ذهنيًا بالمستقبل، أي بالاشتراكية. (Plekhanov, 1953)

وفي نقده للأعمال الأدبية والفنية لطبقة العصور بلخانوف (Plekhanov) ناقش الدراما الفرنسية في القرن الثامن عشر، يشرح بلخانوف تفوق المساة على المهزلة كواحد من تعبيرات الهيمنة الثقافية والاقتصادية للطبقة العليا: بما أن المهزلة كانت شكلاً من أشكال الفن من الطبقة الدنيا، فإن المساة كانت من بنات أرستقراطية البلاط بشكل مباشر من حيث أنها عبرت عن تطلعاتهم وأذواقهم الاجتماعية والسياسية. (Plekhanov, 1953)

ويستشهد بليخانوف (Plekhanov) بتين (Taine) كدعم لحجته بأن المأساة الفرنسية لا يمكن أن تقوض التفوق الأرستقراطي لأنها لا تستطيع أبدًا أن تفوز بتصفيق الجماهير، مهما كان المؤلف موهوبًا. ولكن مع ظهور الطبقة البرجوازية، ظهر نوع جديد، الكوميديا العاطفية، حيث لم يعد البطل كائنًا متفوقًا، بل رجلًا مثاليًا من الطبقة الوسطى. (Swingewood, 1987).

ومن الواضح أن الأعمال الأدبية للطبقة المقاتلة بالنسبة لبليخانوف لا تمثل سوى مأساة الحياة كأداء يصور الأذواق الاجتماعية والسياسية لنخب الطبقة العليا، وليس كسلاح للنضال مثل الأعمال الأدبية التي يتبناها الاشتراكيون في نظريتهم عن علم الأدب الاجتماعي الماركسي.

ويسعى محور آخر إلى فتح مساحة للاستقلالية الفنية أو في هذا السياق للأعمال الأدبية، أن الأعمال الأدبية لا يتم تحديدها دائمًا من خلال وجهة نظر حتمية للدوغماتية الاقتصادية أو من خلال هيمنة شخصيات طبقية معينة، في النظرة الجمالية المثالية لإيمانويل كانط (Immanuel Kant) على سبيل المثال، أن يمتلك مؤلف العمل الأدبي ما أشار إليه على أنه كلية تأملية يتم فيها إنتاج الأعمال الأدبية من المعنى الجمالي ثم تصبح نتاجًا للإبداع المستقل بغض النظر عن المصالح الاقتصادية أو مذاهب الطبقة الاشتراكية أو القدرة. والشعور الجمالي هو ما يجعل البشر يقبلون الفن العظيم ويستمتعون به من أجل الفن نفسه وليس من أجل أي شيء آخر. (Diana T Laurenson, 1972) وفي نفس الكتاب، يقدم ماركس (Marx) أيضًا الوظيفة الاجتماعية للفن، حيث يبدأ الفن عندما يتذكر الإنسان في نفسه المشاعر والأفكار التي لديه تحت تأثير الواقع الذي يحيط به ويعطيه بعض التعبيرات التصويرية. (Diana T Laurenson, 1972)

وفي كتابة أخرى، يرى إنجلز (Engels) أيضًا بأن جوهر أي رواية يجب أن ينبثق بشكل طبيعي من المواقف والأفعال التي تصورهما، (Diana T Laurenson, 1972) بينما يقدم نقدًا للطرق المادية التي اعتبرها العامل الحاسم النهائي فقط. وفقًا لإنجلز (Engels)، فقد تم الإطاحة بالسيادة الاقتصادية المطلقة وتحوّلت إلى درجات من الحرية تتمتع بها البنية الفوقية (انعكاس للأفكار الطبيعية عن المجتمع). وفي مناقشة فلسفة التنوير، قدم إنجلز أنه بينما أثرت القوى الاقتصادية على التقليد الفلسفي، إلا أن الانعكاس السياسي والأخلاقي كان له التأثير الأكثر مباشرة. ومن ثم، إذا كان للعوامل الاقتصادية تأثير غير مباشر على الفلسفة، فيبدو من المعقول أن ندعي الشيء نفسه بالنسبة للأدب. ورأى إنجلز (Engels) أنه على الرغم من أن تطور السياسة والدين والأدب يعتمد على عوامل اقتصادية، فإن هذا لا يعني تحديدًا أحاديًا بل تفاعلًا متبادلًا قائمًا على الضرورة الاقتصادية التي تتجلى دائمًا في النهاية. (Marx, 1958)

والنهج الثالث في دراسة علم الأدب الاجتماعي لسوينجوود الذي يتطلب مستوى عالٍ من المهارة، استكشاف كيفية تلقي عمل أدبي بالفعل من قبل مجتمع معين في لحظة تاريخية معينة، (Diana T Laurenson, 1972) على سبيل المثال، ساعد استقبال أدب جاي دي موباسان (Guy de Maupassant) في إنجليزي خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر في التأثير على الانتقال من الأدب الإنجليزي الذي يُهيمن عليه النشاط الجنسي الساذج أو المنحرف إلى الأدب ذي النظرة الحديثة.

ونوال السعداوي هي إحدى الكاتبات التي من المثير للاهتمام بدراسة أدبهن في سياق دراسة علم الأدب الاجتماعي وهي روائية ونسوية مصرية ناضلت باستمرار من أجل حقوق المرأة المصرية حتى نهاية حياتها. وتنجح نوال من

خلال أعمالها الأدبية في تصوير الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية للشعب المصري، سواء في سياق العلاقات الإنسانية مع أسرهم، أو مع الدولة، أو المؤسسات الأخرى، وفي رواياتها تصف نوال الصراعات والتوترات بين الفئات والطبقات الاجتماعية التي تحدث في مصر. ومما يميز رواية نوال هي ثباتها في النضال من أجل حقيقة القيم التي تمسك بها، والتي من خلال أعمالها الأدبية تنقل هذه القيم ويتبناها قرائها بشكل جماعي، بحيث يتم قبول أعمالها الأدبية تمامًا من قبل جمهور القراء ثم تتحول إلى حركة نضالية في مصر، وهذا ما يسمى الوظيفة الاجتماعية للعمل الأدبي الذي شرحناه سابقًا.

ونشأت نوال من تناقضات المجتمع المصري التي ناقشتها وفتتها منذ الصغر، سواء كان الأمر يتعلق بوضع الرجال المميزين جدًا مقارنة بالنساء في الأسرة، أو أن الرجل الواحد لا يساوي حتى خمس عشرة امرأة، أو ذلك. وللرجال فقط الحق في حمل اسم والدهم، والرجال فقط القادرون على رفع رأس آبائهم (الكرامة). (Saadawi, 1999) وبهذا الامتياز، يصبح الأولاد قريبين جدًا من آبائهم ومدعوون لمناقشة الكتاب المقدس (القرآن) والألوهية، في حين نادراً ما يتم التحدث إلى النساء ويعملن فقط مع أمهاتهن في المطبخ. (Saadawi, 1999)

وكلما كبرت وجدت نوال تناقضات أكثر، لكنها فضلت الصمت والتعبير عن كل غضبها بالكتابة، حيث كانت مهتمة بالكتابة منذ ذلك الحين أصبحت الكتابة تعبيراً عن مقاومة نوال لتراكم التناقضات التي حصلت عليها في عائلتها وفي بيئة أوسع مثل المجتمع المصري والديناميكيات الاجتماعية والسياسية التي تحدث من حولها.

وكتابات نوال لا يمكن فصلها عن النضال من أجل قيم وآمال وتطلعات المرأة والمجتمع المصري، لذلك ليس من غير المؤلف أن تعتبر بعض كتابات نوال قاسية للغاية ومزعجة لبعض الأحزاب الرئيسية في الحكومة المصرية نفسها. وتسببت الكتابات السردية والعديد من حركات نوال النشطة التي كانت تعتبر مثيرة للجدل وغير مواتية في كثير من الأحيان لموقف الحكومة في فصلها من مهنتها كمديرة للتعليم والصحة وكذلك كرئيسة تحرير مجلة الصحة. (Saadawi, 2018)

وطرد نوال من مهنتها المرموقة في الحكومة لم يمنعها من كتابة ونشر روايتها التقديمية. وواصلت نوال نشاطها في الكتابة والبحث، (Saadawi, 2018) ومما أدى إلى نشر العديد من رواياتها مثل الخيط وعين الحياة وموت الرجل الوحيد على الأرض والأغنية الدائرية وأضحى أعمالها الأدبية بعنوان امرأة عند نقطة الصفر التي كتبتها في عام 1975. ولم يتوقف نضال نوال إلا في السنوات التالية، بعد أن نشأ الجدل بعد تأليف روايتها جلدًا حيث سُجنت نوال عام 1981 بتهمة التمرد على حكومة أنور السادات، وحتى في السجن واصلت نوال كتابة وإنتاج روايتها بعنوان مذكراتي في سجن النساء باستخدام لفافة مناديل وقلم تجميل. وقصت السعداوي على مؤسسة طومسون رويترز عند مقابلة بلندن أثناء وجودها في السجن حيث يومئذ استجوبها مأمور السجن قائلاً، "إذا وجدت ورقة وقلم في زنزانتك، فهذا أخطر مما لو وجدت مسدسًا". (Angela Johnson, 1992)

واستمرت المقاومة ضد نوال حيث لم يتوقف شغفها النضالي، وتم نفي نوال في نهاية المطاف إلى الولايات المتحدة وتركت أطفالها وبلد ولادتها مصر (Saadawi, 1999) نتيجةً لاتهامات متطرفة وأصولية ضدها. وتأخذ الرواية الأثرية لنوال بعنوان امرأة عند نقطة الصفر كموضوع للبحث في هذه الأطروحة بسبب اعتبارات، أولاً، من وجهة نظر جوهرية لنص الرواية، أن هذه الرواية مستوحاة من رحلة بحث السعداوي التي انتهت بلقائها بامرأة اسمها فردوس المحكوم

عليها بالإعدام في قضية قتل في سجن القناطر عام 1973 في ظل حكومة أنور السادات، حيث ستختبر نوال نفس الشيء كمؤلفة لهذه الرواية في السنوات التالية. تكشف القصة في هذه الرواية عن الحياة المساوية لفردوس باعتبارها الشخصية الرئيسية، كما تكشف عن الجوانب الاجتماعية والدينية والتعليمية والثقافية والاقتصادية والسياسية للمجتمع المصري، وكذلك الصراعات الطبقيّة والصراعات التي تعيشها الفردوس والمجتمع المصري بشكل عام.

وثانيًا، وجهة النظر الخارجية للنص، التي تحاول تصوير رواية المرأة عند نقطة الصفر باعتبارها انعكاسًا لتطلعات نوال التقدمية وخطابها الذي أنتجته من قراءتها للأوضاع الحقيقية للمجتمع المصري في ذلك الوقت. وبصرف النظر عن ذلك، سيحلل هذا البحث أيضًا الوضع الاجتماعي لنوال عند كتابة عملها الضخم، بعد طردها من مهنتها التي انتهت بالبطالة وتعرضت أيضًا للاضطهاد حقها في التعبير في عام 1972 في ظل حكومة أنور السادات. وثالثًا، من وجهة النظر هذه، المحاولة لاستكشاف كيف تم قبول الرواية الأثرية لنوال السعداوي بعنوان امرأة عند نقطة الصفر بالفعل من قبل مجتمع معين في لحظات تاريخية معينة.

ورابعًا، فإن هذا البحث مهم لأنه بعد وفاة نوال في عمرها 89 عامًا، تركت نوال السعداوي الكثير من الجدل الذي لا يزال قيد المناقشة علميًا من قبل بعض المثقفين من الشرق الأوسط الذين يعارضونها بسبب آرائها النقدية للحكومة المصرية ونضالها للدفاع عن حقوق المرأة العربية على وجه الخصوص التي كتبتها من خلال رواياتها وأعمالها العلمية. ولكن لم يدافع عنها عدد قليل من الأطراف، وأعربوا عن تقديرهم لرواياتها الشجاعة والتقدمية والصادقة، بل جعلوا أعمالها الروائية بمثابة المرجع الرئيسي والدراسات الأكاديمية في مختلف الجامعات.

وأخيرًا هذه الدراسة مهمة جدًا للبحث في الاتهامات الموجهة إلى نوال التي تُدعى مستشرقة ودمية غربية، بينما تبحث في الرؤية العالمية التي تتمسك بها نوال وتكافح من أجلها. وتصبح هذه الرؤية العالمية مهمة في دراسة علم الأدب الاجتماعي لألان سوينجوود لأن الرؤية العالمية للمؤلف ستكون قادرة على التمييز بين نوعين من الأعمال الأدبية التي يسميها آلان سوينجوود العمل الأدبي العادي المصنوع لأغراض تجارية بحتة والعمل الأدبي العظيم الذي يحاول التعبير عن الرؤية العالمية التي يسعى الكاتب من أجلها. ولذلك، من خلال هذه الدراسة يمكننا أن نرى ما إذا كان عمل رواية امرأة عند نقطة الصفر مجرد عمل عادي أم أنه عمل رائع وعظيم.

طريقة

بناءً على نوعه، يستخدم هذا البحث بحثًا مكتبيًا، وجميع البيانات التي تمت دراستها ومعالجتها وتحليلها كاملاً باستخدام المصادر الأدبية. تشير المقاربة المستخدمة في هذه الدراسة إلى موضوع الدراسة الذي يأخذه الباحث وهو التركيز على الحقائق الاجتماعية في رواية امرأة عند نقطة الصفر، بحيث يكون النهج الذي اتبعه الباحث نهجًا متعدد التخصصات يدمج الأدب العربي وعلم الاجتماع. والنهج متعدد التخصصات يساعد الباحث بشكل كبير في استكشاف النظريات الواردة في هذين التخصصين العلميين والكشف عن المشكلات الرئيسية التي يدرسها الباحث في هذا البحث.

النتائج والمناقشة

الحقائق الاجتماعية في رواية امرأة عند نقطة الصفر

في هذا الجزء المبكر، سوف نتبع وضع حياة الدعارة للمرأة المصرية وهي فردوس كواقع اجتماعي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع الاقتصادي والسياسي والثقافي وكذلك العلاقات بين الجنسين في مصر. وكما يرى آلان سوينجوود أن الرواية كعمل أدبي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنسيج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الشبيه بعلم الاجتماع. (Diana T. Laurenson, 1972)

1. صورة الحياة الأسرية الريفية المصرية

يمكننا أن نرى صورة للأسرة الريفية المصرية من رواية امرأة عند نقطة الصفر التي تصفها فردوس كالشخصية الرئيسية في الرواية:

وأنتمي إلى الطبقة السفلى بمولدي من أبٍ فقير فلاح، لم يقرأ ولم يكتب، ولم يعرف من الحياة إلا أن يزرع الأرض، ويبيع الجاموسة المسمومة قبل أن تموت، ويبيع ابنته العذراء قبل أن تبور، ويسرق زراعة جاره قبل أن يسرقه جاره. (Saadawi, 2018)

ويوجد في ريف مصر نوعان من الأسر الريفية، النوع الأول يسمى الأسر المشتركة التي تتكون من الزوج والزوجة والأطفال والأشقاء أو أبناء العم. ولا يزال تكوين الأسر المشتركة مستمرًا بين الأسر المالكة للأراضي العاملة خصوصاً في مجال الزراعة. وتشير الدراسة إلى أن هناك اتجاهًا بين الأسر البارزة في ريف مصر في القرن التاسع عشر لتكوين أسر مشتركة بهدف تجنب الانقسامات الأسرية والاحتفاظ بالميراث لإدارة مشتركة. والنوع الثاني هو أسرة بسيطة تتكون من زوج وزوجة وأبناء أو بنات مع رجل بالغ على نفقة رب الأسرة. (Cuno, 1995)

ويمكن أيضاً وصف الأسرة المشتركة على أنها عائلة تتكون من شقيقين يواصلان العمل معاً دون تقسيم ممتلكات والدهما وأرضه، وفي هذه الحالة يمكن أيضاً وصف الأسرة المشتركة على أنها أسرة واحدة (معيشة وحيدة في عائلة واحدة). ويستخدم مصطلح عائلة في كثير من الأحيان للدلالة على الاعتماد. (Cuno, 1995)

وكان مفهوم الأسرة في مصر مشابهاً لذلك الموجود في العديد من الثقافات الأخرى، حيث تم فهم الأسرة على أنها تتكون من أشخاص يعتمدون على رأس واحد ويتشاركون في إمدادات غذائية مشتركة. وفي سياق رواية المرأة عند نقطة الصفر، فإن الأسرة التي تسكن فيها فردوس هي الأسرة البسيطة لعائلة زراعية عادية لا تملك ما يكفي من الأرض (وليست عائلة مشتركة ثرية مع الكثير من الأراضي والميراث الغني). وحيث عاشت فردوس مع والديها وعمها.

ويتفق هذا مع استنتاج ويندل كليلاند (Wendell Cleland)، استناداً إلى تعداد عام 1927، بأن الأسرة المصرية "المتوسطة" التي تعمل بالزراعة، والتي لم يكن لديها ما يكفي من الأرض لإعالة نفسها، يبلغ عددها خمسة أفراد وتتكون من زوجين متزوجين ولهما ثلاثة أطفال أو طفلان وشخص بالغ تحت مسؤولية رب الأسرة. (Cuno, 1995) ومن ثم يمكن إدراج عم فردوس في الفئة الأخيرة.

ومن الصعب جداً فصل المجتمعات الريفية المصرية عن حالة الأمية الكامنة، ويمكن رؤية هذه الحالة من عائلة فردوس حيث لا يستطيع الأب وهو رب الأسرة القراءة والكتابة:
"من أبٍ فقير فلاح، لم يقرأ ولم يكتب." (Owen, 1996)

ويتوافق هذا الشرط مع بيانات التعداد السكاني الذي أجراه كريج (Craig) على المجتمعات الريفية المصرية عام 1917.

على الرغم من أن الترجمة قد تمت الموافقة عليها من قبل وزارة التعليم، يقال إن هذه العملية قد تثير بعض التعقيدات لأنها تستخدم نسخة من اللغة بعيدة بعض الشيء عن الشكل العامي الذي تستخدمه غالبية السكان الأمين. (Owen, 1996)

ومشكلة الأمية التي تعتبر المعيار العام لمؤشرات مشكلة الجهل تصبح مشكلة اجتماعية كبرى في مصر خاصة في الأسر الريفية حوالى الأربعينيات، سوى مشاكل أخرى مثل الفقر والمرض. (Owen, 1996)

2. العنف الأسري ضد المرأة المصرية

يشير التقرير إلى أن ثلث النساء المصريات يتعرضن للعنف الأسري، استناداً إلى المسح الديموغرافي والصحي المصري لعام 2005. وقد أظهرت الأبحاث أن الأطفال الذين ينشأون في بيئات عنيفة غالباً ما ينتهي بهم الأمر إلى علاقات مسيئة. (Ojiakor & Obika, 2018) ونشأت فردوس في أسرة كان والدها يملئ فيها على أفراد عائلته ويسيء معاملة زوجته كل يوم. ويظهر ذلك من قصة الفردوس في الرواية:

حين تموت البنت منهم، يأكل أبي عشاءه وتغسل أمي ساقيه وينام ككل ليلة. وحين يموت الولد يضرب أبي أمي، ثم ينام بعد أن يتعشى، لم يكن أبي ينام بغير عشاء مهما حدث، وأحياناً حين لا يكون بالدار طعام نبيت كلنا بغير عشاء إلا هو، كانت أمي تُخفي طعامه منا في فتحة داخل الفرن، ويجلس يأكل وحده ونحن ننظر إليه، وذات مرة مددت يدي داخل صحنه فضربني على يدي. (Saadawi, 2018) ويضرب زوجته كل ليلة حتى تعضاً الأرض، وصباح كل جمعة يرتدي جلباباً نظيفاً ويذهب ليصلي الجمعة في الجامع. (Saadawi, 2018) وكفّ أبي عن الصلاة والدعاء، وظل صامتاً طوال العيد، وكلما كلمته أمي انقضّع عليها وضربها. (Saadawi, 2018) وتعرضت فردوس لنفس العنف من زوجها الشيخ محمود، وانتهت فردوس بعلاقة عنيفة مع زوجها، وكانت علاقة فردوس الجنسية بزوجها أكثر من عذاب. وفي سن مبكرة جداً، أُجبرت على الزواج من رجل عجوز وكانت لها تجربة مهينة. وكثيراً ما كانت فردوس تُصرخ في وجهها وتعرض للضرب المبرح على يد زوجها كما هو موضح في الرواية:

وإذا ما وضعت بيدي قليلاً على المعلقة وأنا آخذ قطعة سمن للطبخ، صاح ونهني إلى أن علبه السمن تتناقص بسرعة أكثر من اللازم. وإذا ما جاء الزبال، فتش صفيحة القمامة قبل أن يخرجها له. وفي مرة وجد في صفيحة القمامة بقايا طعام، فأخذ يصيح بصوت عال سمعه الجيران. ثم بدأ يضربني بسبب وبغير سبب. ضربني مرة بكعب الحذاء حتى تورم وجهي وجسدي، فتركت بيته وذهبت إلى عمي. لكن عمي قال لي أن كل الأزواج يضربون زوجاتهم، وزوجة عمي قالت لي أن عمي يضربها. وقلت لها أن عمي شيخ محترم، ورجل يعرف الدين معرفة كاملة، ولا يمكن أن يضرب زوجته. وقالت زوجة عمي أن الرجل الذي يعرف أن الدين معرفة كاملة هو الذي يضرب زوجته، لأنه يعرف أن الدين يبيح ضرب الزوجة، وليس للزوجة الفاضلة أن تشكو زوجها، وواجبها الطاعة الكاملة. (Saadawi, 2018)

3. التحرش الجنسي والدعارة في مصر

في رواية امرأة عند نقطة الصفر، من خلال قصة حياة فردوس التي تعرضت لأنواع مختلفة من التحرش والعنف الجنسي، تريد نوال السعداوي أن تستنتج شيئاً واحداً وهو أن أسلوب الحياة الذي اختارته فردوس كمومسة هو ضمناً مباشراً لرحلة حياتها من من الطفولة إلى البلوغ التي تعرضت للتحرش والإساءة والعنف الجنسي، ويبدأ بالتحرش من داخل منزلها ومن الأقربين إليها. وهذا ما وصفته نوال السعداوي بوضوح في روايتها:

واتسعت عيناه بدهشة وهو ينظر إليّ وأنا أمزق الأوراق المالية عن آخرها، وقال: أنتِ أميرة. قال: كنت أظنك مومساً. قلت: لست مومساً، لكن أبي وعمي وزوجي درّبوني منذ البداية لأكون مومساً. (Saadawi, 2018)

ولأن هذه الرواية كتبها نوال السعداوي في الفترة من 1973 إلى 1975، فإن هذه الرواية تكشف حقيقة الدعارة في مصر قبل عام 1973، وتكشف أيضاً عن التحرش الجنسي الذي تعرضت له النساء في مصر بين تلك السنوات.

وفي ظل الحكم البريطاني، لعبت الدعارة دوراً رئيسياً في تاريخ استعمار مصر. وكانت مصر في ذلك الوقت مخزناً للدول الأوروبية، حيث تعيش فيها أعداد كبيرة من المغتربين الأوروبيين. وبما أن معظم هؤلاء المغتربين كانوا من الرجال، فإن سوق الجنس كان ينمو. وصلت الدعارة إلى ذروتها خلال فترة الإقامة البريطانية بين عامي 1882 و1952، وبشكل أكثر تحديداً خلال الحرب العالمية الأولى. ونظراً لشعبية الدعارة، وضع البريطاني لوائح خاصة للسيطرة على صناعة الجنس. (Tachdjian, 2023)

والأكثر أهمية هنا هو أن التجنيد الإجباري في مصر يعيد هيكلية المجتمعات المحلية ويعطل الحياة الأسرية: فالطلب على التجنيد يقلل من دخل الأسرة في مصر ويشجع النساء على ممارسة الدعارة. وبعد انفصالهم عن زوجاتهم، أصبح الرجال يترددون على بيوت الدعارة بشكل متكرر، وازداد انتشار الأمراض التناسلية. وبعد أربع سنوات من بدء التجنيد المنهجي، من المعروف أن مرض الزهري والسيلان آخذان في التزايد ويتعين على الخبراء الطبيين التعامل مع حالات تفشي المرض على نطاق واسع. وكتب كبير أطباء الجيش المصري، أنطوان بارتيليمي كلوت باي (Antoine Barthelemy Clot-Bey)، أطروحة يرشد فيها أطباء الفوج كيفية فحص الأمراض التناسلية وكيفية علاجها. واعتبر أن النشاط الجنسي الضار هو سمة أساسية للمجتمع المصري، وحمل المشتغلين بالجنس مسؤولية انتشار الأمراض التناسلية: "يجب على سلطات الدولة مراقبة المومسة". (Ana Rojas Martín, 2019)

وبشرت المحمية البريطانية في أوائل القرن العشرين بظهور الدعارة الحديثة في المدينة، والتي تتميز باحتراف وتسويق العمل الجنسي، من خلال آلية ترتيبات بيوت الدعارة المرخصة من قبل الدولة. وفيما يتعلق بتفشي الأمراض التناسلية، قررت الحكومة البريطانية إنشاء نظام للتفتيش الصحي، والذي يتطلب التوصيف المهني والتسجيل والفحوصات الصحية للعاملات. وبعد ثورة يوليو عام 1956، ادعت حكومة عبد الناصر القومية أن الأحكام الواردة في قوانين العمل بالجنس يجب أن تحمي صحة الجمهور الوطني. وأدى ذلك إلى ما يعرف بإضفاء الطابع الطبي على الدعارة في مصر. (Ana Rojas Martín, 2019) وفي هذا الوضع، قررت الحكومة المصرية اتخاذ إجراءات بشأن حياة المشتغلين بالجنس والعاملات في مجال الجنس، بمعنى أن التنظيم الصارم ومراقبة حالتهن الطبية كان يُنظر إليه على أنه الاستراتيجية الرئيسية لمنع انتشار المرض. (Ana Rojas Martín, 2019)

وخلال فترة الاستعمار البريطاني، من عام 1882 إلى عام 1952 على وجه التحديد، وخاصة مع الهجرة الجماعية إلى مصر، وافتتاح قناة السويس والتنمية الاقتصادية في البلاد، سعى الكثير من الناس للحصول على الخدمات الجنسية. وتم ضمان السيطرة على صناعة الجنس من خلال التنظيم من قبل البريطانيين. وكانت إحدى اللوائح الأولى هي إنشاء المناطق الحمراء، والتي قامت بتوطين الوظائف في مناطق معينة من المدينة، وخاصة المدن والموانئ السياحية. وبالإضافة إلى ذلك، يجب على كل امرأة تعمل في صناعة الجنس أن تسجل نفسها لدى الشرطة والحكومة، ويجب أن تخضع لفحص طبي لضمان السيطرة على الأمراض المنقولة جنسياً. (Tachdjian, 2023)

وعلى الرغم من التغيرات الحديثة والجهود المبذولة لتخليص المجتمع المصري من الدعارة، إلا أن الدعارة لا تزال تنتشر حتى يومنا هذا. وفي الواقع، فقد زاد هذا بعد الطفرة السياحية الثانية في مصر، والتي جاءت بشكل رئيسي نتيجة للثروة النفطية في الخليج العربي. وحدثت هذه الزيادة في الدعارة أيضاً بعد وفاة عبد الناصر، بعد عام 1971. وعلى الرغم من الإصلاحات في نظام التعليم والسياسات الاشتراكية في البلاد من خلال سجن المومسة، لم تختف الدعارة في مصر. واليوم، أصبحت مصر محطة رئيسية في عالم السياحة الجنسية: فإضفاء الطابع الجنسي على المرأة المصرية، على الرغم من أنه ليس بنفس القدر كما كان من قبل، لا يزال يجذب عدداً كبيراً من السياح. ويشكل الرقص الشرقي جزءاً مهماً من ثقافة البلاد، وقد أصبحت "رقصة جنسية"، استناداً إلى الصور النمطية الشائعة لدى السياح الأوروبيين عن المرأة العربية. وعلى الرغم من أن الراقصات الشرقيات اليوم لا ينخرطن دائماً في صناعة الجنس، إلا أن مصر تحافظ على الصورة النمطية باعتبارها عامل جذب شائع للسياح، حيث تجذبها الراقصات شبه العاريات. وحفلات الزفاف الصيفية هي عامل جذب آخر أيضاً. ومن ثم فإن الدعارة لا تزال تشكل مصدر قلق كبير في مصر. (Tachdjian, 2023)

وتعرضت فردوس أيضاً للتحرش الجنسي والعنف، وأدرج ضمن فئة العنف الجنسي الذي تعرضت له فردوس تشويه الأعضاء التناسلية الذي تم التعرض له عندما كانت في طفولتها كما قصته فردوس على نوال في الرواية:

وسألت أمي عن أبي، وكيف ولدني بغير أب، فضررتني، وأتت بامرأة معها مطواة أو شفرة موس، وقطعوا قطعة من اللحم بين فخذي. (Saadawi, 2018)

وأحد الأقسام التي تغطي مختلف أشكال العنف الجنسي هي الممارسات التقليدية الضارة مثل تشويه/بتر الأعضاء التناسلية للإناث (Female Genital Mutilation/Cutting (FGM/C)) وزواج البنات. ويعد تشويه/بتر الأعضاء التناسلية للإناث جريمة في مصر، ويعتبرها معارضة هذه الممارسة انتهاكاً لحقوق الإنسان. ولكن هذه الممارسة لا تزال مستمرة، سراً في كثير من الأحيان، وتمتد جذورها إلى الأساطير حول الحياة الجنسية للفتيات. ويعد العنف الجنسي أيضاً أحد أكثر انتهاكات حقوق البنات إثارة للقلق. (Fund, 2013)

ويقدر أحد التقارير أن 50% من النساء في القاهرة و80% من النساء في الإسكندرية، المدينتين الرئيسيتين في مصر، تعرضن حالياً لبتر البظر. وكم عدد النساء اللاتي خضعن لهذا الإجراء؟ تقدم منظمة العفو الدولية رقمًا قدره 135 مليوناً في جميع أنحاء العالم، صدقت أو لا تصدق، من المحتمل أن يخضع مليوناً فتاة سنوياً لنوع من الإجراءات، وإذا قمنا بتبسيط ذلك إلى أرقام يومية، فسنجد أن هناك 6000 فتاة تتم إزالة بظرهن كل يوم. (Royer, 2001)

وقد اغتصب تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية الفتيات من حياتها الجنسية الكاملة والطبيعية ويمكن أن يؤدي إلى عواقب نفسية وجنسية سلبية أخرى تدوم مدى الحياة. (Fund, 2013) وهذا ما حدث للفردوس حيث لم تعد الفردوس تحصل على المتعة الجنسية التي كانت تشعر بها قبل تعرضها لبتير البظر:

كان يفعل ما فعله محمد بن وأكتر، لكنني لم أكن أشعر بتلك اللذة الشديدة تنبعث من ذلك المكان المجهول والمعلوم من كيان، وأغمض عيني أحاول أن أبحث عن اللذة دون جدوى، كأنما ضاع المكان أو كأنما جزء من كيان اختفى مني إلى الأبد. (Saadawi, 2018)

شيء غريب لم أعرفه من قبل؛ لأنه لم يحدث أبداً، أو لأنه كان يحدث على الدوام، وفي مكان ما في جسدي أشعر أن هناك لذة قديمة مفقودة، أو لذة جديدة لا أعرفها ولا أستطيع أن أحدها، فكأنها في مكان ما خارج جسدي، أو جزء من كيان لم يعد جزءاً مني. (Saadawi, 2018)

وينتفض كيان بلذة قديمة لا أعرف مكانها ولا أستطيع تحديدها، فكأنما تنبعث من شيء بعيد عني، خارج كيان، مع نهايتها شيء كاللذة، شيء أحاول أن أمسك به. (Saadawi, 2018)

وهي تهب فوق بطني، أسفل بطني بين فخذي، وأحس الانتفاضة في جسدي، انتفاضة غريبة في بدايتها لذة تشبه الألم، وفي نهايتها ألم يشبه اللذة، لذة قديمة قدم حياتي، عرفتها منذ زمن بعيد ونسيتها منذ زمن بعيد، أبعد من عمري الذي عشته. (Fund, 2013)

وتتراوح أعمال العنف الجنسي من الاتصال الجسدي المباشر حيث تُجرى البنت على القيام بأفعال جنسية من قبل مقدمي الرعاية أو الجيران. (Saadawi, 2018) وكان الشكل الأكثر شيوعاً للعنف الجنسي الذي أبلغت عنه الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين 13 و17 عامًا اللاتي شملهن الاستطلاع هو الإساءة اللفظية يليها اللمس الجنسي، وقد حدث هذا الشكل لفردوس عندما كانت طفلة من عمها:

أجلس القرفصاء وبين ساقي ماجور العجين، ألتُ وأعجن، ووهج الفرن في وجهي يحرق أطراف شعري، فلا أعرف أن جلبابي قد انحسر عن فخذي إلا حينما أرى يد عمي تتحرك ببطء من وراء الكتاب الذي يقرؤه وتلمس ساقي، ثم لا تلبث أن تصعد حذرة مرتعشة متلصصة، تبتعد كلما دبّت في مدخل الدار قدماً، وتلتصق بشدة وبعنف إذا أطبق السكون والصمت، اللهم إلا صوت عود من الحطب أكسره وألقي به في الفرن، أو صوت أنفاسه المنتظمة من وراء الكتاب، لا أرى وجهه، ولا أعرف إذا ما كان نائماً يشخر أو يقظاً يلهث. كان يفعل ما فعله محمد بن وأكتر، لكنني لم أكن أشعر بتلك اللذة الشديدة تنبعث من ذلك المكان المجهول والمعلوم من كيان (Saadawi, 2018) كنت أرتجف، وأحسمن حيث لا أدري أن أصابع عمي الطويلة الكبيرة ستقترب مني بعد قليل وترفع اللحاف عني بحذر كبير، وأن شفتيه ستلامسان وجهي وشفتي، وأصابعه ستمشي فوق فخذي بطيئة مرتعشة لتصعد إلى فوق. (Saadawi, 2018) وأفادت بعض الفتيات أيضاً أنهن تعرضن للتحرش الجنسي، لا سيما في القاهرة حيث تعرضت فتاتان من كل ثلاث فتيات لهذا النوع من العنف. وويؤكد البحث النوعي أيضاً أن الفتيات يتعرضن للتحرش الجنسي أكثر من الفتيات. (Fund, 2013)

والتحرش الجنسي هو الشكل الأكثر شيوعاً وقسوة من أشكال العنف ضد المرأة. وتعرض المرأة للإيذاء في العمل والمدرسة والجامعة وحتى في المنزل. (Amani Abdel Fattah, 2022)

وكما تعرضت فردوس للعنف اللفظي والعقلي والجنسي من صديقها الذي اعتبرته مختللاً عن الرجال الآخرين الذين التقت بهم من قبل:

كان صوتي منخفضاً، وكنت مُطرقة إلى الأرض، لكنه انتفض واقفاً وصفعني على وجهي وهو يقول: أترفعين صوتك على صوتي يا بنت الشوارع يا ساقطة؟! كُفّه كانت كبيرة قوية، أقوى كَفِّ تسقط على وجهي، جعلت رأسي يرتج في الهواء عدة مرات، وارتجت الأرض والحجرة من حولي، فأمسكت رأسي بيدي، وحين استقرت الأرض والحجرة مرة أخرى رفعت رأسي والتقت عيناه بعيني. وكأنما أرى العينين لأول مرة، عينان سوداوان تنظران في عيني، وتتحركان ببطء شديد فوق وجهي وعنقي، وتهبطان ببطء أشد فوق صدري وبطني، وتستقران في النهاية أسفل بطني بين فخذتي، سَرت فوق جسدي رجفة باردة كرجفة الموت، وامتدت يدي دون أن أحس، وأخفيت بطني وفخذي، لكن يده القوية الكبيرة امتدت ونزعت يدي، وضربي بقبضة يده في بطني حتى فقدت الوعي. وأصبح يغلق عليّ باب الشقة قبل أن يخرج، وأصبحت أنام على الأرض في الحجرة الأخرى، ويأتي في منتصف الليل يشد عني الغطاء ويصفعني ويرقد فوقي، لم أكن أفتح عيني، وأترك جسدي تحت جسده بغير حركة ولا رغبة ولا لذة ولا ألم ولا أي شيء، جسد ميت لا حياة فيه، كقطعة من الخشب، أو جورب من القطن، أو فردة حذاء، وذات مرة أحسست أن جسده أثقل مما كان، وأنفاسه لها رائحة لم أشمها من قبل، وفتحت عيني فرأيت فوق وجهي وجهاً آخر غير وجهي بيومي، وقلت: مَنْ أنت؟ قال: أنا بيومي. قلت: لست بيومي. قال: أنا بيومي شيء واحد، وسألني: أتشعرين بلذة؟ وخفت أن أقول: لا أشعر بشيء، وأغمضت عيني وقلت: نعم، فغرز أسنانه في لحم كتفي، وعضني عدة مرات في صدري وبطني وهو يردد: يا مرة يا بنت ال... وسبّ أمي بكلمة لم أستطع أن أسمعها أو أنطقها، لكنني سمعتها بعد ذلك كثيراً من بيومي ومن أصدقائه بيومي حتى تعودت سماعها، وتعودت أن أنطقها أحياناً حين أحاول فتح الباب فأجده مغلقاً. (Saadawi, 2018)

ويمكن ملاحظة هنا أن هناك علاقة وثيقة جداً بين مهنة فردوس كمومسة وتجربتها مع التحرش الجنسي والعنف الأسري كامرأة بالغة، سواء من والدها الذي كان يضرب زوجته كثيراً، أو من عمها الذي اعتدى جنسياً عليها كابنة أخيه، وفضلاً عن تعرضها للعنف من زوجها الذي خطبها عمها أو من بيومي وأصدقائه الذين اغتصبوها.

4. الفقر الاقتصادي والعاورة في مصر

بالإضافة إلى العلاقة الوثيقة بين واقع الدعارة في مصر وتجربة العنف والتحرش الجنسي المستمدة من قصة فردوس في مصر والمعطيات الاجتماعية التي تم ذكرها، وهناك أيضاً علاقة بين الفقر الاقتصادي وهي ظروف الفقر للمرأة المصرية واختيار مهنة الدعارة، وفي سياق رواية امرأة عند نقطة الصفر، يتعين على بعض النساء في الشركة خدمة رؤسائهن للحصول على مكافآت أو البقاء لفترة طويلة في مكان عملهن:

ظرت مباشرة إلى عينيه، عيناه تقولان: أنت موظفة فقيرة غير محترمة، تجرين وراء الأنوبيس، ولكني سأوصلك في عربتي؛ لأن جسديك الأنثوي أثارني، وسوف يشرفك أن يشتهيك موظف محترم مثلي، ومن يدرى ربما أساعدك في المستقبل في الحصول على علاوة قبل زملائك. حينما لم أرد، ظن أنني لم أسمع، فقال: يمكنني أن أوصلك. وقلت بهدوء: إن ثمن جسدي أعلى من علاوة. واتسعت عيناه بهدشة، ولعله دُهِش كيف قرأت أفكاره بهذه السرعة، وانطلق بسيارته يجري. (Saadawi, 2018)

وأدركت أن الموظفة تخاف على وظيفتها أكثر مما تخاف المومس على حياتها؛ فالموظفة تخاف أن تفقد وظيفتها وتصبح مومسًا، وهي لا تدرك أن حياة المومس قد تكون أثن من حياتها. وتدفع الموظفة ثمن هذا الخوف الوهمي من حياتها وصحتها وجسدها وعقلها، تدفع أبهظ شيء نظير أجنس شيء. وكنت أدرك أننا كلنا مومسات بأثمان متفاوتة، وأن المومس الثمينة أفضل من البخس والاحتقار الذي أراه كل يوم في عيون الموظفين الكبار وهم ينظرون إلى الوظائف الصغيرات، والانضغاطة المهينة بين أجساد الرجال في الأتوبيس. (Saadawi, 2018)

وفي جزء آخر، يشعر فردوس بسعادة بالغة لحصولها على المال من مهنتها كمومسة، حيث لم تشعر في حياتها قط كيف تحمل مبالغ كبيرة من الأوراق المالية ولم يعطها والدها مالا سوى قرش واحد.

حين فتحت عيني كان ضوء الشمس يغرقني، وتلقتُ حولي لا أعرف أين أنا، ورأيتني في حجرة نوم أنيقة، ورجل غريب يقف أمامي، نهضت بسرعة وارتديت فستاني وحذائي، وبينما أنا أمسك حقيقتي الصغيرة لأخرج من الباب، مدَّ يده ووضع في يدي ورقة بعشرة جنيهاً، وكأنما انقشعت عن عيني غشاوة، فإذا بي أبصر لأول مرة في حياتي حركة يدي وهي تلامس الورقة المالية، حطمت اللغز ومزقت الستار الذي حجب عني حقيقة عرفتها وأنا طفلة، حين أعطاني أبي لأول مرة قرشًا. لم يكن أبي يعطيني مصروفًا، كنت أشتغل في الحقل والدار، وأكل مع أمي ما يبقى من أبي، وإذا لم يبقَ شيء نمت بغير عشاء، وفي العيد الكبير رأيت العيال يشترون من الدكان الحلوى، فذهبت إلى أمي وبكيت، وقلت لها: أعطيني قرشًا. وقالت أمي: ليس معي قروش، القروش مع أبيك. وذهبت إلى أبي وقلت له: أعطني قرشًا. فضرني على يدي وقال: ليس معي قروش. لكنه ناداني وقال لي: سأعطيك قرشًا إذا فتح الله علينا وبعث الجاموسة قبل أن تموت، ورأيت أبي يصلي ويدعو لله أن يمد في أجل الجاموسة، لكن الجاموسة ماتت قبل أن يلحقها أحد، وكفَّ أبي عن الصلاة والدعاء، وظل صامتًا طوال العيد، وكلما كلمته أمي انقضَّ عليها وضربها. ولم أطلب منه القرش. وجاء العيد الصغير ورأيت الحلوى في الدكاكين، فقلت لأبي: أعطني قرشًا، فقال: تطلبين القرش في أول النهار؟ اذهبي واكنسي تحت البهائم، وحَملي الحماره وخذيها إلى الحقل، وفي آخر النهار سأعطيك القرش، وأعطاني القرش حين عدت من الحقل، أول قرش يعطيني لي، أول قرش يصبح لي، أضعه في كفي وأحوطه بأصابعي وأضغط عليه؛ فهو قرشي أنا، ليس قرش أبي ولا قرش أمي، ولكنه قرشي أفعل به ما أشاء، وأشتري به ما أشاء، وأكل به ما أشاء: حلوى أو خروبًا أو عسلية أو أيشيء أختاره. (Saadawi, 2018)

كانت الشمس مشرقة في ذلك اليوم، وكنت أسير بخطوات سريعة نشطة، قبضة يدي اليمنى قوية، تضغط على شيء داخل كفي، شيء ثمين ليس قرشًا واحدًا، وإنما ورقة بعشرة جنيهاً كاملة، أول مرة أمسك ورقة مالية بهذا الحجم، وأول مرة تلامس الورقة يدي، والتلامس المفاجئ يجعل جسدي ينتفض انتفاضة غريبة ترج كياني بعنف يكاد يصل إلى حد الألم، أحسه ينبعث كأنما من جرح غائر في أحشائي، يؤلمني حين أشد عضلات ظهري وأتنفس بعمق. (Saadawi, 2018)

وهذا هو السبب في أنني حين كنت أقول الرجل يصرُّ، ومهما رفعت الثمن فهو يصر، ولا يحتمل أبدًا أن ترفضه امرأة. (Saadawi, 2018)

وأصبحت مومسًا ناجحة، أحصل على أعلى ثمن، ويتنافس عليَّ أعظم الرجال. (Saadawi, 2018)

وفي كل مرة أُعطي جسدي أقبض الثمن غالبًا، وأستطيع بثروتي أن أستأجر ما أشاء من الخدم ليغسلوا ملابسي وينظفوا أحذيتي، وأستطيع أن أستأجر المحامي للدفاع عن شرفي. (Saadawi, 2018)

لكل شخص ثمن، ولكل مهنة أجر، ويزيد الأجر بارتفاع المهنة، ويزيد الثمن بارتفاع الشخص في السلم الاجتماعي. وقد تبرعت يوماً بجزء من مالي لإحدى الجمعيات الخيرية، فنشرت الصحف صورتي، وأشادت بموقفني المشرف، وأصبحت كلما أريد جرعة من الشرف أو الشهرة سحبت مبلغاً من البنك. (Saadawi, 2018)

وفي تقريره المقدم إلى لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة، قدم هدى ما يلي: إن فعل الدعارة بحكم تعريفه يجمع بين شكلين من أشكال السلطة الاجتماعية (الجنس والمال) في تفاعل واحد. وفي كلا المجالين (الجنس والاقتصاد)، يتمتع الرجال بسلطة كبيرة ومنهجية على النساء. وفي الدعارة، تتحد اختلافات القوة هذه في فعل يحدد ويؤكد الوضع الاجتماعي للذكر المهيمن على الوضع الاجتماعي للنساء التابعات. (Otu, 2016)

وأحد أسباب بغاء المرأة هو عجز المرأة اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً. ويتحكم الرجال في الجنس (بما في ذلك أجساد النساء وحياتهن الجنسية) والاقتصاد. وفي أغلب الأحيان، تدخل النساء في الدعارة بسبب عدم توفر الفرص، والفرصة هي بوابة لتحقيق الذات والتمكين الاقتصادي، وبدونها تصبح عرضة للرجال الذين يطلبون الجنس مقابل المال أو أي مساعدة أخرى تحتاج إليها. (Otu, 2016) وكما أدلت السعداوي ببيان سياسي مهم يوضح بوضوح فشل الزعماء الإفريقية في تمكين وتحسين حياة شعوبهم، حيث أنه مع تزايد الفساد بشكل كبير ووقوع الفقراء في حلقة مفرغة من الفقر، فإن جرائم الاتجار بالبشر والدعارة سوف تزدهر حتماً. (Otu, 2016)

ويمكن التعرف على اختلافات كبيرة في الجنس التجاري في مصر منذ منتصف السبعينيات. وكانت معظم المعاملات في مجال الجنس في الخمسينيات من القرن الماضي أميات وينحدرن من أسر فقيرة، وكان يبيع أنفسهن بالنسبة لمن وسيلة لتغطية نفقاتهن. ولا تمتلك هؤلاء النساء المهارات اللازمة للاندماج في سوق العمل الرسمي. نصفهن يعملن فقط في الدعارة، بينما النصف الآخر لا يستطعن الحصول على دخل كافٍ لإعالة أنفسهن وأسرهن من خلال العمل في وظائف منخفضة الأجر مثل البائعات المتجولات (رصيف) والمساعدة المنزلية. (Holborn, 2008)

ويمكن الاستنتاج هنا أن هناك علاقة متداخلة بين ظروف الفقر الاقتصادي ومهنة الدعارة، فالظروف الاقتصادية المتدنية تدفع بعض النساء إلى بيع أنفسهن، سواء كان ذلك لرؤسائهن في شركات التقدم الوظيفي أو للرجال الذين يريدون أن يدفعوا للمرأة سعراً مرتفعاً لما يقدمونه.

5. السلطة السياسية والدعارة

في هذه الرواية، تروي السعداوي وتحلل وتتساءل عن مشاركة ليس فقط الأفراد والأسر، بل أيضاً المؤسسات السياسية في تجسيد المرأة وتسليعها في العالم العربي.

والدعارة هي صناعة يتم التحكم فيها من خلال هيكل السلطة الأساسي، وتديرها الكارتلات والنقابات، وتنطوي الدعارة على صراعات على السلطة. ولا يستمد القوادون المتعة الجنسية والنجاح الاقتصادي من السيطرة على البغايا وممارسة السلطة عليهن فحسب، بل إنهم يشكلون أيضاً مصدراً للقوة (Otu, 2016). وكما يقول هارالامبوس (Haralambos) وهولبورن (Holborn) "في الشارع، يعتبر القوادون وسيلة للتعبير عن الرجولة. وعادة ما يكون للقوادون سيطرة قوية على البغايا الذين يديروهن. (Otu, 2016)

وفي روايتها نوال تظهر علاقات القوة مع الدعارة في مصر، وأن وجود الدعارة مدعوم من قبل نظام السلطة السياسية، وتحديدًا حول القوادين الذين تحميمهم الشرطة:

وظننت أنني نجوت من الرجال، لكن الرجل الذي جاءني هذه المرة كان يرتدي مهنة معروفة ضمن الرجال، هي مهنة القوادين، وظننت أنني سأصرفه بمبلغ من المال. لكنه مومس قواد يحميها من القوانين ورجال البوليس. (Saadawi, 2018)

إلى جانب القواد، يتمتع رجال البوليس أيضًا بسلطة التواطؤ مع المسؤولين الذين تتمثل مهمتهم في العثور على عاهرات لمسؤولين في الدول المجاورة، ويتم استخدام امرأة كوسيلة لتسهيل التواصل بين البلدين بل اعتبرت الخدمة الجنسية للضيوف من البلدان الأخرى هي شكل من أشكال الولاء والوطنية كما وصفتها نوال في روايتها:

و ذات يوم سمع عني عظيم من دولة من الدول، رأني فطليبي، ورفضت. كنت أعرف أن معظم هؤلاء الحكام لا يهزمون أبدًا أمام الآخرين؛ لأنهم منهزمون دائمًا من الداخل، لا يمكن للإنسان أن يحتمل الهزيمتين معًا، وهذا هو سبب صعودهم المستمر إلى مقاعد الحكم، إن السيطرة التي يشعرون بها وهم يحكمون الآخرين تمنحهم إحساسًا مزيّفًا بالنسبة لأعماقهم، ولكنه حقيقي بالنسبة للآخرين، وهذا هو الأهم. وزاده رفضي إصرارًا من أجل الانتصار عليّ. في كل مرة يأتيني رجل بوليس من عنده وأنا أرفضه، وفي كل مرة يستخدم رجل البوليس معي أسلوبًا جديدًا، مرة يقدم لي المال، ومرة يهددني بالسجن، ومرة يقول لي: إن رفضي لمثل هذا الحاكم قد يعد إهانة لشخصه العظيم، ومن ثم يسيء إلى العلاقة بين البلدين، وأن الوطنية تستوجب مني أن أذهب إليه، وقلت لرجل البوليس إنني لا أعرف شيئًا عن الوطنية، وإن الوطن لم يعطني شيئًا، بل سلب مني كلشيء حتى شرقي وكرامتي، والغريب أن رجل البوليس صدم بكاملاي صدمة حقيقية أخلاقية، فكيف يمكن لشخص أن يفتقد المبادئ الوطنية؟! وضحكت من المفارقة والازدواجية الأخلاقية، إنهم يأخذون مومسًا لرجل، إنهم قوادون، ومع ذلك يتحدثون باحترام عن المبادئ الوطنية والأخلاقية، وأدركت أن رجل البوليس يطيع الأوامر فحسب، أي أمر يصدر إليه يصبح واجبًا وطنيًا مقدسًا، يسوقني إلى السجن، أو يسوقني إلى فراش شخص مهم، كلاهما سيان، وفي كلا الحالتين هو يؤدي باحترام واجبه الوطني المقدس، ومن أجل الواجب الوطني قد تحصل المومس على وسام الشرف، وقد تتحول جرائم القتل إلى بطولات. (Saadawi, 2018)

وإن التغيرات في هيكل وديناميكيات تجارة الجنس خلال النصف الثاني من القرن العشرين لا تعكس فقط معاملة الدولة للجنس التجاري، ولكن أيضًا التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السريعة في مصر والبيئة العربية ككل. وبعد الحرب العربية الإسرائيلية عام 1973، وتدفقت الثروات إلى الدول العربية المنتجة للنفط. وتبرز مصر كمركز جذاب للسياح العرب الأثرياء للانغماس في السياحة الجنسية. (Biancani, 2017)

وعدد قليل جدًا من العاملات في مجال الجنس المصريات يشربن الكحول أو يدخنن الماريجوانا أو يتعاطين المخدرات غير المشروعة الأخرى. بعض العاملات فعّلن ذلك فقط لإرضاء عملائهن واعترفت امرأتان فقط بأنهما استمتعتا بالكحول والماريجوانا. ومعظم عملائهن من مصر وبعضهم من الدول العربية الأخرى. (Biancani, 2017)

وفي إطار السياحة الجنسية التي يقوم بها العديد من السياح العرب في مصر، تم وصفها في رواية امرأة عند نقطة الصفر لنوال السعداوي:

وعند ثنية الشارع رأيت السيارة الفاخرة، يطل منها رأس رجل ملهوف، فتح باب السيارة وقال: تعالي معي. قلت: لا. قال: سأدفع ما تطلبين. قلت: لا. قال: صدقيني، سأدفع ما تطلبين. قلت: لا. قال: صدقيني، سأدفع ألفاً. قلت: لا. قال: ألفين، ثبتُّ عينيَّ في عينيه، وعرفت من الذعر الكامن في قاع عينيه أنه أحد الأمراء أو الحكام، فقلت له: ثلاثة آلاف. قال: أوافق. (Saadawi, 2018)

وفي هذا السياق يمكن أن نستنتج أن الدعارة في مصر لا يمكن فصلها عن علاقات القوة السياسية، حيث يلعب القوادون والشرطة دوراً هاماً في استمرارية هذه المهنة، بالإضافة إلى ذلك يتم استخدام البغايا كأداة للمفاوضات السياسية بين البلدين. وواقع السياحة الجنسية في مصر كثيراً ما يزورها المسؤولون السياسيون من مصر والدول الأخرى، وكما ذكرنا سابقاً أن مصر تعد من الدول المقصد للسياحة الجنسية خاصة من الدول الأوروبية والعربية. (Tachdjian, 2023)

الوضع الاجتماعي لنوال السعداوي

سنناقش في هذا القسم عن حياة نوال السعداوي والتي تؤدي إلى دراسة أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، وحياتها كروائية، وأيديولوجيتها ورؤيتها العالمية ككاتبة وناشطة نسوية. يعتبر بحث الوضع الاجتماعي لنوال مهماً جداً لتقييم مكانة العمل الأدبي لنوال سواء كان من الممكن اعتباره عملاً أدبياً عظيماً أو عملاً أدبياً عادياً تم إنتاجه لأغراض تجارية فقط بسبب الضغوط الاقتصادية التي تواجهها نوال أو تعتبر عملها الأدبي طلبية من بعض الأطراف ذي الغرض المعين.

1. الوضع والاجتماعي الاقتصادي لنوال السعداوي

في مقابلة مع أنجيلا جونسون (Angela Johnson)، أخبرت نوال خلفية عائلتها: والدي من عائلة فقيرة جداً. كان لديه أم وست شقيقات، توفي والده مبكراً جداً بسبب مرض متوطن بين الفلاحين. لذا قررت جدتي أن ابنها لن يصبح فلاحاً ولن يموت صغيراً. كانت امرأة قوية الإرادة، وربت ابنها. كثيراً ما كانت تقول لي، "كنت أتضور جوعاً لتعليم والدك." يذهب إلى المدرسة، وهو ذكي وحصل على منحة دراسية، وتخرج من الجامعة وشغل منصباً في وزارة التربية والتعليم. لذلك شعر أنه يستطيع الزواج مع امرأة من الطبقة الوسطى. فذهب وتزوج والدتي التي كانت من الطبقة المتوسطة أو العليا في القاهرة. لذلك نشأت بين طبقتين اجتماعيتين: طبقة الفلاحين الفقيرة للغاية لأبي، وعائلة والدتي البرجوازية. وهذا هو السبب في أنني كنت مدرّكاً للطبقة عندما كنت صغيرة. أقاربي من الأم يكرهوننا حقاً. يقولون لنا "أنتم فلاحون". وأتذكر أنني أكرههم. أحب أسرة والدي أكثر، رغم أنهم فقراء وفلاحون. البعض الآخر متعجرفون جداً. في الواقع، نحن تسعة أشقاء. كانت والدتي ربة منزل بالطبع لأنها تزوجت والدي عندما كانت في السادسة عشرة من عمرها. كانت لا تزال في المدرسة وأخرجوها من المدرسة لتتزوج والدي، ولديها تسعة أطفال، وتوفيت عندما كانت في الخامسة والأربعين من عمرها. امرأة حزينة، لكنها أم عظيمة. أما والدي، كان له منصب في التعليم، وهو رجل ذو قلب عظيم. يؤمن بالتعليم لأن التعليم أنقذه من موت مبكر مثل والده وأنقذه من الفقر أيضاً. كان لديه راتب وأصبح مديراً للتعليم في إحدى المقاطعات، وقام بتعليم تسعة منا في الجامعة. أرسل تسعة منا إلى المدرسة. (Angela Johnson, 1992)

تعلمت نوال الكثير من تجربة حياة جدتها التي كانت أيضًا مناضلة من أجل حقوق الفلاحين: جدتي الفلاحية الأمية، التي عملت في حقولها تحت أشعة الشمس الحارقة، عاشت وماتت بشكل جيد. لم يذهب إلى الطبيب قط. إنها امرأة عاطفية وسعيدة تحارب إلى جانب رجال ونساء قريتها ضد رئيس البلدية الظالم الملك فاروق والغزاة البريطانيين. (Newson-Horst, 2010)

يؤثر إلهام الحياة في مرحلة طفولة نوال المبكرة بشكل كبير على اختيارات حياتها المبكرة سواء كان الأمر يتعلق باختيارها الوظيفي ككاتبة أو القيم التي تحملها، وهذا يتوافق مع ما قاله آلان سوينجوود أن تجارب الطفولة المبكرة يمكن أن يكون للكتاب تأثير على الخيارات المهنية أو المادة الدراسية للكتاب، على الرغم من أنه يبدو أن التجربة قد لا تستمر دائمًا إلى الحد الذي يحدد البنية الأساسية لأدبهم. (Diana T Laurenson, 1972)

الوضع التعليمي لنوال كطبيبة نفسية يضعها في وضع اجتماعي واقتصادي جيد إلى حد ما، علاوة على ذلك، شغلت نوال منصب مدير التعليم والصحة في وزارة الصحة، وهو منصب مرموق للغاية، على الرغم من أنها كانت في وقت قريب تم فصلها من عملها بسبب روايتها المثيرة للجدل، وعادت نوال في منصبها الأول كباحثة الصحة، سافرت حول العالم لإجراء الكثير من الأبحاث المتعلقة بقضايا صحة المرأة بشكل خاص. (Newson-Horst, 2010) من 1979 إلى 1980 عملت نوال كمستشارة الأمم المتحدة لبرامج المرأة في إفريقيا والشرق الأوسط. (Smith, 2007) حتى أن نوال نفسها عاشت وعلمت في أمريكا وأوروبا لمدة 13 عامًا (Smith, 2007). كل هذه الإنجازات توضح الوضع الاجتماعي والاقتصادي لنوال نفسها كباحثة ومحاضرة وناشطة وبالطبع كاتبة استثنائية نشرت عشرات الكتب والأبحاث التي تُرجمت إلى عشرات اللغات.

وعلى الرغم من أن نوال لديها وظيفة مهنية مرموقة إلى حد ما، إلا أنها لم تصنف طبقتها الاجتماعية إلى مجموعات اجتماعية ثرية:

أنا لست كاتبة راسخة. هناك العديد من الكتاب في مصر وفي العالم العربي ساعدت حكوماتهم في التعريف بهم. إنهم موجودون في وسائل الإعلام، والحكومات تنشر أعمالهم، وما إلى ذلك. لكنني معروفة رغم أنني ضد حكومتي. تتم ترجمة كتيبي دون مساعدة حكومية. لذلك هذا يمنحني الكثير من الرضا، لأنني أجعل نفسي. لا شيء يحصل علي. ليس لدي عائلة، لأنني من عائلة فقيرة للغاية في القرية. في مصر وفي العديد من الدول العربية، يجب أن يكون لديك عائلة إقطاعية كبيرة لدعمك ومساعدتك؛ العائلات التي لها أسماء، لأن لدينا نظام الفصل. لذلك إذا كنت من عائلة كبيرة، فيجب أن تساعدك. فأما بالنسبة إلي، ليس لدي عائلة حقًا، بهذا المعنى للمساعدة. لم يكن لدي حكومة لمساعدتي، لذلك قمت ببناء نفسي على الرغم من كل العوامل في بلدي التي يمكن أن تساعد أي شخص: الأسرة، والطبقة، والبلد، سمها ما شئت. أشعر ببعض الارتياح لأنني تمكنت من القيام بذلك بنفسني. (Angela Johnson, 1992)

2. حياتها كروائية

لقد سكنت السعداوي ولع الكتابة منذ طفولتها، في عام 1944 وهي في الثالثة عشرة من عمرها كتبت رواية مذكرات طفلة اسمها سعاد. وفي نصف قرن منذ أن كتبت قصة طفولتها، رسخت السعداوي نفسها على الساحة الأدبية العالمية. (Poetics, 1995)

ونوال السعداوي واحدة من أكثر الكتاب إبداعاً وصراحة في عصرنا. وصفتها صحيفة "ميدل إيست تايمز" بأنها "صاخبة" لأنها تسبب باستمرار ضجة في موقفها المتصلب من النسوية وانتقادها للأصولية الدينية. وشدد على أن الأمر من واجبتها ككاتبة، لأجل الكشف عن الحقيقة بشأن التراث الثقافي والأصولية الدينية. وقالت باقتناع: "إذا لم أقل الحقيقة، فأنا لا أستحق أن أكون كاتبة". وكانت الكتابة للسعداوي مهمة جداً بمعنى أنها لم تختف تحت حجاب الدعاية الذي يميز الكثير من شؤون العالم. (Horst, 2008)

وتستخدم السعداوي الكتابة الأدبية كوسيلة للتحرر من القيود التي تفرضها الأبوية والاستعمار، وتدعم الإبداع والشعر كوسيلة للخروج من السجن. (Hiddleston, 2010)

وأصبح عمل نوال الأدبي مقياساً لرغبة النساء في التغيير في جميع أنحاء العالم، وخوفاً لدى العديد من الزعيم الذكور. وكتب نوال محظورة في بعض الدول العربية، ولكن في دول أخرى تكون مطلوبة في المناهج الجامعية. وعلى الرغم من تخصصها الرئيسي في كتابة الروايات، أنها معروفة كناشطة سياسية لا تقل صدقها عن ماركس. (Gharbi, 1987)

ولذة الكتابة لنوال هي أكثر من اللذة الجنسية وأكثر من أي متعة أخرى. والكتابة مهمة جداً في حياتها مثل التنفس. ويمكن لنوال أن تعيش بدون زوجها، لكنها لا تستطيع العيش بدون الكتابة. ومن خلال الكتابة توحدت نوال مع العالم، الكتابة عندها نشاط بدني وعقلي بالجملة. (Newson-Horst, 2010)

وأيضا ذهبت نوال، يسألها الصحفيون هذا السؤال: كيف تكتب الرواية وهي طبيبة؟ دراسة الطب لنوال تساعدها على كتابة روايات أفضل. ولأن الحقائق والخيال لا ينفصلان تماماً مثل الجسد والعقل. ومن خلال الكتابة الإبداعية نزيل الصراع الزائف بين العاطفة والعقل، بين اللاعقلاني والعقلاني، بين الخيال العلمي والأدبي، وكتبت نوال الرواية لتقول الحقيقة من خلالها. ونحن نفهم الواقع بشكل أفضل من خلال الخيال. وسمحت لنا الكتابة الإبداعية للخيال والواقعية بإنجاز أشياء يصعب على خلايا دماغنا فهمها. وكتبت نوال لأجل الخروج من الظلام إلى نور المعرفة ومن فوضى العالم الظالم إلى عالم جديد مليء بالعدالة والحرية والمحبة. وكتبت أيضاً لتحدي القوى العظمى على الأرض. وتكون كتابات نوال لتغيير نفسها والعالم للأفضل. (Newson-Horst, 2010)

وعندما كتبت نوال فصلها الأول عن استئصال البظر، وهو الفصل الافتتاحي لروايتها الوجه العاري للمرأة العربية. وكانت نوال خائفة جداً. لكن تكون الكتابة تثري وتقويها. وعندما جاءت نوال في السجن فتش السجناء وقال: إذا وجدت ورقة وقلم في زنتك، فهذا أخطر مما لو وجدت مسدساً. ولا يُسمح لنوال في البداية بالحصول على قطعة من الورق أو حتى مناديل المراحيض للكتابة عليها. (Angela Johnson, 1992)

وكانت نوال السعداوي هي واحدة من عدة كتاب المصيرين المعاصرين أكثر قراءة من قبل الرجال والنساء على حد سواء، وقد تُرجمت كتبها إلى ما لا يقل عن 12 لغة، ككاتبة أثرت في ما وراء شبه الجزيرة العربية وحول العالم. والموضوع الرئيسي لعملها الأدبي حتى الآن هو الحياة الجنسية للمرأة العربية والتي تتناولها كجزء من قضية اجتماعية وسياسية أوسع. وعلى الرغم من أن الجنس الأنثوي موضوع محظور في العديد من الدول الإسلامية، إلا أن آراء السعداوي حول هذا الموضوع صريحة ومتشدة. تتعامل كتاباتها الخيالية وغير الخيالية مباشرة مع هذا الموضوع، مما يفرض إعادة النظر في السياسة الجنسية واستعادة الحقوق الجنسية للمرأة. وتركز نوال الآن على كتاباتها وتعمل حالياً على رواية جديدة بالإضافة إلى التحدث بانتظام في جميع أنحاء العالم حول قضايا المرأة. (Smith, 2007)

وفي عام 1980 نشرت نوال رواية امرأة عند نقطة الصفر على الرغم من حظرها في العديد من دول الشرق الأوسط، وقد تم نشر هذه الرواية في طبعات عربية سبع مرات. ومن خلال صداقة فرنسا والعرب، حصلت نوال على الجائزة الأدبية عن النسخة الفرنسية لهذه الرواية عام 1982. وقد ألفت السعداوي العديد من الكتب الخيالية والواقعية عن المرأة في العالم العربي. وتمت ترجمة العديد من هذه الأعمال إلى الإنجليزية. (Gharbi, 1987)

نشرت السعداوي أكثر من أربعين كتاباً، أعيد طبعها وأعيد نشرها باللغة العربية، وقراءتها على نطاق واسع في بلدها وفي جميع الدول العربية. ونالت شهرة دولية واسعة بعد أن ترجم أعمالها إلى أكثر من ثلاثين لغة. والوجه الخفي لحواء هو أول كتاب يترجم إلى اللغة الإنجليزية من قبل زوجها شريف حتاتة، ونشرته شركة دار زيد للنشر في عام 1980. (Newson-Horst, 2010)

وظهر اسمها في قوائم الموت الأصولية بعد أن نشرت روايتها سقوط الإيمان في القاهرة عام 1987. أُجبرت على الفرار من البلاد، وقامت بالتدريس في جامعة ديوك في دورهام، وجامعة ولاية واشنطن في سياتل. عادت إلى مصر عام 1997 لتواصل الكتابة والتنظيم للنساء. (Newson-Horst, 2010)

ونشر ناشر مدبولي كتب نوال في مصر، منها رواية بعنوان الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة في ديسمبر 2006. وأعاد هذا الناشر طباعة خمسة وأربعين كتاباً من كتب نوال باللغة العربية لمعرض القاهرة الدولي للكتاب 2007، لكن خمسة من هذه الكتب تم حظرها في المعرض بما في ذلك روايتها الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة. جاءت الشرطة إلى الناشر وأمرته بإتلاف جميع نسخ مسرحية نوال فامتثل وأتلف النص الذي نشره للتو لينقذ نفسه من السجن والاضطهاد. (Horst, 2008) كما يذكره أنان سوينجوود أنه تم تشكيل لجنة للرقابة على العمل الأدبي. في حين أن عدد من الجهات المهتمة بفحص الكلمات المكتوبة في عدة الكتب تشمل منها الكنيسة والجيش والجامعات ووزارات التعليم والشرطة. و يبدأ الأمر عندما تصبح الفصائل المختلفة صاحبة وتطورت رؤيات عالمية متضاربة، ثم يعتبر الكتاب الذين يمثلون تلك المجموعات خطرين وينتهي بالرقابة اللازمة على العمل. (Diana T Laurenson, 1972)

وفي عام 1972، فقدت نوال وظيفتها في الحكومة المصرية كمدير عام للتثقيف الصحي العام في وزارة الصحة بسبب كتابها المحظور، المرأة والجنس 1972. في هذا الكتاب، ربطت الصحة بالاقتصاد والسياسة والدين والتاريخ والجنس والثقافة. كانت نوال أول طبيبة تعارض على ختان الأطفال تحت شعارات دينية وثقافية. كانت كتبها تخضع للرقابة في مصر وكان عليها نشرها في لبنان. (Newson-Horst, 2010)

بحسب من ابنة نوال، منى حلمي أن قررت محكمة القاهرة في 4 سبتمبر 2007 ضم القضيتين ضد نوال. طلبت القضية الأولى من وزير الثقافة حظر جميع كتب نوال بما في ذلك آخر دراما لها والتي اتهمتها بإهانة الله والأنبياء. وطالبت الحالة الثانية من وزير الداخلية بإتلاف جميع الكتب التي كتبها نوال، ومنعها من مغادرة مصر واعتقالها عند وصولها إلى المطار، ثم سحب الجنسية المصرية من نوال. وتم تحديد موعد المحاكمة في 2 أكتوبر 2007. ولكن قررت تأجيل المحاكمة مرة أخرى حتى 4 ديسمبر 2007، ولتجنب القضية اختارت نوال البقاء خارج مصر وتواصل نشاطها في كتابة الروايات بعد عودتها من فرجينيا الغربية لتستلم جائزة أدبية. (Horst, 2008)

وامتد نفوذ السعداوي إلى ما وراء حدود وطنها مصر ككاتبة، كانت لها قوة كبيرة في التأثير على النساء، لا سيما في الشرق الأوسط، للتفكير في مكانهن في المجتمع بطرق جديدة. وعلى الرغم من أن تعرضت نوال لانتقادات مختلفة، لسجن، لاضطهاد، لاتهامات، لنفي ولتحرش جنسي بسبب الخلافات المختلفة في كتاباتها الأدبية، لا تزال نوال كاتبة صادقة تعبر عن اهتماماتها المختلفة حول العالم الذي تراه، خاصة فيما يتعلق بالجنس والدين والسياسة التي بالنسبة لنوال ترتبط ارتباطاً وثيقاً ببعضها البعض.

في مقابلة سابقة تحدث نوال عن حالتها في السجن عام 1980:

كانت زنزانة المومسة بالقرب منا. يسمح السجناء لهن بالحصول على راديو وتلفزيون وصحف وكل شيء، لكن ليس لزنزانة السياسية التي كنا فيها. ولقد حظروا الصحف أو الراديو أو التلفزيون أو الورق أو أي شيء حتى خطابات. وهم لا يريدوننا أن نكتب حتى أبسط خطاب ونرسله. لهذا السبب منعونا من الحصول على قطعة من الورق أو القلم. لكنني تداخلت مع مومسة عبر زنزانة، وهربت لنا بعض مناديل المرحاض من خلال زنزانتهما، واضطرت لإخفائها في علبة تحت الأرض، ولذلك عندما أتى السجناء ليفقدها، لم يتمكن من العثور عليها. وأنا أكتب بقلم صغير وهو قلم حواجب. لذلك كنت أجلس في الليل، عندما كان الجميع نائمين أكتب في الضوء الخافت بقلم صغير مثل هذا على مناديل المرحاض. بالنسبة لي، هذه هي الجنة، وجود مناديل المرحاض مثل هذه هي الجنة. يجب أن تقرأ مذكراتي من السجن. ولقد وصفت كل ذلك. (Angela Johnson, 1992)

كتبت نوال السعداوي عن أهمية ابتكار وصراحة الكتابة:

إذا كنت مبدعاً ومنشغلاً، فعليك تجاهل السوق الحرة. يجب أن تجد ناشراً صغيراً يبحث عن عمل إبداعي أصلي وصادق. إنهم يدفعون دفعة أولى صغيرة جداً والدعاية الخاصة بهم محدودة، ولكن عاجلاً أم آجلاً ستصل إلى جمهورك. إنه صراع طويل وشاق ضد السوق، لكن يجب أن نفعل ذلك وإلا سنفقد نزاهتنا، وبالتالي إبداعنا. يتطلب الإبداع الشجاعة، ليس فقط لمواجهة سوق النشر العالمي أو المحلي، ولكن أيضاً لمواجهة مجتمعك أو نظام السلطة الدينية أو الطبقة أو الجنس أو العرق أو البلد. الإبداع يعني انتقاد نفسك وكذلك انتقاد الآخرين. هناك حاجة إلى التفكير النقدي والكتابة لتحسين نفسك والآخرين. الإبداع يحو الحدود بين الذات والآخرين. يخشى بعض الكتاب، وخاصة الكاتبات المسلمات من انتقاد أنفسهن أو لمس المحرمات، خشية الإتهام بمن على أنهن يكتبن للغرب، أو إظهار ملابسنا المتسخة لأعدائنا. (Newson-Horst, 2010)

من واقع خبرتي، ككاتبة مصرية، بدأت الكتابة منذ أكثر من نصف قرن، فإن التمتع بالإبداع والصدق أكبر بكثير من أي شيء يمكن أن يقدمه السوق، وأهم بكثير من المال أو الجنس أو الشهرة. ملذات الإبداع يمكن أن تمحو كل آلامك ومعاناتك، ويمكن أن تجعلك شخصاً سعيداً جداً رغم كل شيء، بما في ذلك التهديدات والتعذيب والسجن والنفي والموت. (Newson-Horst, 2010)

3. أيديولوجيتها ورؤيتها العالمية ككاتبة وناشطة نسوية

أ. رؤيتها عن الرواية

في محاولة لكسر الحدود في كتابات المرأة العربية المعاصرة، تستخدم السعداوي مجموعة متنوعة من المناورات النصية الموجهة إلى الجنس مثل الترميز واللعب بين النصوص وتسليط الضوء على انتهاكات التراث الديني لاستكشاف

تقاطع النوع الاجتماعي والسياقات الدينية وكذلك السياسة. وتتحدى السعداوي التقاليد الأبوية المشتركة بين الديانات الإبراهيمية الثلاثة التي تم استغلالها. (Nasser, 2014)

القصة في الروايات لنوال، مهما كانت مأساوية ويصعب سماعها، تحاول في الواقع الكشف عن مفارقة السلوك البشري والظلم الناتج عن ذلك. وهل يوجد بطل في عمل نوال؟ نعم، ولكن ليس بالمعايير الغربية. ويتم تصوير الشخصيات، ذكوراً وإناثاً، بتعقيد يحكم الطبيعة البشرية. وتظهر المزارعين بشخصياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وعلى العكس من ذلك، تقدم نوال شخصيات ذات سلطة مثقلة بالمفارقات الثقافية في عالمهم. والمرأة التي تقف ضد الإيذاء. (Newson-Horst, 2010)

فالكتابة لنوال سلاح، كما نقلت لرجاء غربي، وكذلك تظهر رؤيتها العالمية عن قوة الخيال:

الكتابة سلاح مهم جدا لتزوير التاريخ وضد الظلم والجهل. يجب على امرأة أن تروي قصتنا وواقعنا من خلال معرفتنا به. علينا أن نمثل أنفسنا. لكن مجرد الكتابة لا تكفي. لا يزال هذا جهداً فردياً. لهذا السبب أنا أيضاً منظم، على الرغم من أن كتابة الروايات هي شغفي الحقيقي. في الخيال، أنا حر تماماً! لكننا بحاجة إلى جهد جماعي في العمل السياسي وكذلك في الكتابة. (Gharbi, 1987)

وفيما يتعلق بالالتزامات حيث أنها كتبت للدول الغربية وكانت طلبية من جهات معينة، ردت نوال بأن تقول: ولم أكتب أبداً للغرب، أكتب لأناس في كل مكان يؤمنون بالعدالة والحرية والحب والمساواة والسلام والإبداع. لكنني أكتب بالعربية. ولذلك أكتب خصوصاً لشعب بلادنا. أنا كاتبة نسوية. هذا أمر معقد لأنني لا أؤيد امرأة مثل كوندوليزا رايس، رغم أنها امرأة من الناحية البيولوجية لكنها تتبنى عقلية أبوية رأسمالية. أما بالنسبة لي فأنا كاتبة إنسانية. (Horst, 2008)

وأما بالنسبة لوجهة نظرها العالمية ككاتبة، فيمكننا التصنيف على أنها كاتبة تحمل النظرة العالمية الاشتراكية. في مقابلة مع رجاء غربي، تعترف نوال بكونها اشتراكية تاريخية، وأنها اشتراكيون لأننا نؤمن بمحاربة النظام الطبقي من وجهة نظر النساء، ونحن نسويات لأننا نتحسّن بمحاربة النظام الأبوي. (Gharbi, 1987)

وأشار أن سوينجوود إلى أن تقييم عظمة الكاتب يكمن من خلال أن نرى جهوده لمقاومة إغراء الرعاة وما زال يحافظ على سلامة القيم الاشتراكية التي يحملها:

فقط الكتاب العظماء يمكنهم تحمل هذا الضغط. إنهم يمتلكون الموهبة والفطنة اللازمتين للتعبير عن مجموعة واسعة من تجارب الحياة على جميع المستويات الاجتماعية، والنزاهة لتقديم نقد للقيم والأيديولوجيا البرجوازية. (Diana T Laurensen, 1972) وفي كتاباته عن جورج أورويل، الاشتراكية والرواية، يتفق أن سوينجوود مع وجهة نظر أورويل القائلة بأن الرواية الجيدة هي رواية كتبها روائي لا يعرف الخوف، وتعتبر الرواية عادية لأنها لا تربط نفسها بأيديولوجية الاشتراكية. (Diana T Laurensen, 1972)

تأثير رواية امرأة عند نقطة الصفر لنوال السعداوي

على مر السنين، جربت السعداوي لغات وأنماط وأفكار وأنواع مختلفة في كتابة رواياتها، وبالتالي قدمت العديد من الإسهامات في الأدب العربي كليا. ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه التجارب، فإن أحد الأمور الثابتة في عملها هو تفانيها الراسخ في خدمة قضية المرأة في العالم العربي. ولذلك، ليس من المستغرب أن تكون الشخصيات الرئيسية في

روايات السعداوي متباينة من حيث الطبقة الاجتماعية، والخلفية، ومستوى التعليم، لكن هناك قاسمًا مشتركًا واحدًا على أن كلهن نساء تعرضن للاضطهاد من قبل مجتمع أبوي، يسعى إلى جعل امرأة عاجزة. وربما تكون رواية امرأة عند نقطة الصفر التي نُشرت عام 1975 من أشهر أعمال السعداوي. (Salti, 1994)

وتستحق رواية امرأة عند نقطة الصفر لنوال السعداوي من مصر سمعتها كواحدة من أقوى العروض في الأدب الأفريقي عن اضطهاد المرأة من قبل المجتمع الأبوي الظالم. (Palmer, 2016)

وهذا ما يفعله الفن العظيم، هذا الفن يسد الفجوة بيننا. وهذا ما فعلته نوال السعداوي في كتاباتها عن وطنها وحياتها. وبكلماتها الذكية كشفت دقات القلب تحت السطح. ومثل الجراحة، أمسكت بمشروط وسحبت الشريان الأورطي، وهو ما زال مليئًا بالحياة، من امرأة ترقد بمفردها على طاولة العمليات. وثم وصلت بمهارة إلى امرأة أخرى تقف فوقها باهتمام. وإنها تخطط الاثنين معًا حتى يتمكن كل منهما من معرفة الآخر، والبقاء على قيد الحياة في الحقيقة ومعرفة ما يعنيه أن تكون متصللاً. وكتبت السعداوي حتى يتمكن كل واحد من إنقاذ الآخر. وبحيث يمكن للمرأة التي تموت عادة بصمت وتموت دون أن يلاحظها أحد أن تعيش، ولكي تُمنح النساء اللاتي لديهن الرزق امتياز القيام بذلك. (Saadawi, 2009).

وتروي نوال كيف غيرت روايتها حياة قرائها كثيرًا، ومن بينهم طالبة هندية قامت بتدريسها ذات مرة: أخبرتني طالبة أخرى تدعى مايا هاجرت عائلتها من الهند أنها قرأت روايتي امرأة عند نقطة الصفر، وقد غيرت الرواية حياتها. ثم تفاجأ عندما وجدت اسمي مكتوبًا في قائمة الدورات. قالت: "لذلك أتيت". لم تفوت أبدًا أي فصل دراسي، وكانت تجلس دائمًا على يمين المكتب الكبير القريب مني، وعيناها السوداوان اللامعتان، وشعرها الحريري يتدفق إلى أسفل ظهرها. قبل انتهاء العام الدراسي، كانت قد بدأت في كتابة رواية. (Saadawi, 2009)

واستخدم الكتاب من سلمان رشدي إلى نوال السعداوي الرواية لاستكشاف إمكانيات وتحديات دعم الكرامة الإنسانية وحماتها، لا سيما في جنوب الكرة الأرضية. ورواية امرأة عند نقطة الصفر للسعداوي تثير الجدل حول حرية المرأة في المجتمع الإسلامي، وخاصة حول حقوق المرأة الإنسانية. ولا يؤمن الأدب عن حقوق الإنسان بأن الكتابة هي مجرد تمرين في الجماليات الفنية، لكنه يدعو الكتاب إلى إدراك الالتزام الاجتماعي الكامن تحت قوة إبداعاتهم الأدبية، وأن التأثير على الجمهور يكون عميقًا ومثمرًا في كثير من الأحيان. ويمكن فقط لملاحظات القراء أن تحدد ما إذا كان العمل يلهم التغيير الاجتماعي أو يحفز على العمل. (Obika, 2018)

وهكذا فإن رواية امرأة عند نقطة الصفر ليست مجرد رواية: إنها رسالة مقاومة لجميع النساء: رسالة تشجع النساء على رؤية أنفسهن لسن وحدثهن، لأنهن في مثل هذا التضامن يجدن الشجاعة لإنهاء القهر وتحقيق الإنجاز. والعدل والحرية لأنفسهم وللمجتمع بأسره. وهكذا ما صرحه طرابيشي (Tarabishi):

التحدي الذي تواجهه المرأة هو كسر هذه العزلة والوصول إلى النساء في كل مكان. ضمير اجتماعي قائم على وعي النساء الأخريات، والرغبة في الاتحاد معها لاكتساب المهارات والقوة اللازمة في النضال لإنهاء الظلم، وتحقيق العدالة والحرية لأنفسهن ومن ثم المجتمع بأسره. (Tarabishi, 1988)

وأشهر روايات السعداوي امرأة عند نقطة الصفر، هذا النص مقدم كدليل، قصة حقيقية تحكي دعوة لمغامرات كل النساء المضطهدات. وحتى الآن، توضح السعداوي كيف أن السرد يدل على مقاومة تحدٍ للسجن الحرقي، ولقوى السلام الأكثر خطورة ضد النساء في البيئات المعادية. (Hiddleston, 2010)

قامت نوال بحملة ضد ختان الإناث طوال حياتها والتي تعتبر بالنسبة لنوال أقرب إلى شوه أعضاء التناسل على أساس أن هذه الممارسة هي أداة تستخدم لقمع النساء. ونشرت نوال السعداوي نقدًا لممارسة جراحة الأعضاء التناسلية الأنثوية في الثقافة العربية. يظهر هذا الموضوع في رواية امرأة عند نقطة الصفر كشكل من أشكال القسوة المرتكبة ضد البطلة فردوس، فإنه يساهم بشكل كبير في تكوين الرؤية العالمية لنوال السعداوي. (Royer, 2001)

أحيانًا لم أكن أعرف على أبي من بينهم. كان يشبههم تمامًا إلى حد أنني لم أعرف أنه أبي. وسألت أمي عن أبي، وكيف ولدته بغير أب، فضربتني، وأنت بامرأة معها مطواة أو شفرة موس، وقطعوا قطعة من اللحم بين فخذي. بكيت طوال الليل، وفي الصباح لم ترسلني أمي إلى الحقل ككل يوم. (Saadawi, 2018)

وعملها كطبيبة ريفية جعل السعداوي تفهم الكثير عن حالات النزيف والعدوى والصدمة النفسية بسبب جراحة الأعضاء التناسلية الأنثوية. وأظهرت الدراسات أن الوفاة، وفيروس نقص المناعة البشرية، والنزيف المتقطع، والخراجات وأورام الأعصاب يمكن أن تنجم عن جراحة الأعضاء التناسلية الأنثوية. ويمكن أن يكون للتضخيم آثار صحية طويلة المدى، مثل التهابات المسالك البولية المزمنة، وحصى المثانة والإحليل، وتلف الكلى، التهابات المسالك البولية. وتشير التقديرات الأخيرة إلى أن 50٪ من النساء في القاهرة و 80٪ في الإسكندرية، المدينتان الرئيسيتان في مصر قد تم ختانهن. (Royer, 2001)

وجدت السعداوي أن 97.5٪ من الأسر غير المتعلمة في عينة مكونة من 160 فتاة وامرأة مصرية أصرت على الختان، بينما بلغت النسبة بين الأسر المتعلمة 66.2٪. وظل هذا الرقم مرتفعًا في عام 1998، حتى أنه يقترب من تسعين في المائة بشكل عام. (Royer, 2001) وأن ختان الإناث محظور رسميًا في مصر عام 2008.

وفي عام 2008، صدر القانون المصري الذي يحظر ختان الإناث بعد وفاة فتاة تبلغ من العمر 12 عامًا نتيجة لهذه الممارسة. وتمت مقاضاة العديد من العاملين في المجال الطبي، وتم إغلاق العديد من العيادات التي تعمل بهذه العبادة. وفي الواقع، كان الحظر المفروض على ختان الإناث ساري المفعول منذ عام 1997، ولكن لا يزال يُسمح للأطباء بإجراء ذلك في حالات معينة. وأكد وزير الصحة المصري حاتم الجبلي على ذلك بمنع الأطباء أو أي مهنة طبية من قطع بظر المرأة. "سينظر إلى ختان الإناث على أنه انتهاك للقانون وسيتم المعاقبة على جميع الأفعال ضده".

وإن وجهات نظر نوال الجريئة والتي لا هوادة فيها تجعلها على حد تعبير فدوى مالتى دوغلاس، "المرأة الأكثر وضوحًا في العالم العربي"، وذلك أساسًا لأن كتاباتها تهدد الكثير من الخطاب الحالي حول المرأة في الشرق الأوسط. وتحديث لدعم الحقوق السياسية والجنسية للمرأة، ومحاربة تشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية، والعمل ضد الفقر والأصولية وعدم المساواة بجميع أشكالها. (Aghacy, 2001)

خاتمة

ونهاية هذا البحث هي استخلاص النتائج من عملية الدراسة التي تم البحث فيها، وتحديدًا على شكل إجابات لصياغة المشكلة التي اختارها الباحث محوراً للدراسة في هذا البحث، وتشمل الاجابة على المشكلات كما يلي: ومن أهم الحقائق الاجتماعية التي كشفت عنها نوال السعداوي في روايتها حقائق الحياة في مصر عام 1975 وهي: العنف الأسري في مصر، والتحرش والعنف الجنسي ضد المرأة المصرية، والفقر الاقتصادي في مصر والحقائق السياسية، كل هذه الحقائق الاجتماعية أدت بل تدعم إلى وجود الدعارة في مصر. تؤدي دراسة الوضع الاجتماعي لنوال السعداوي إلى (أ) دراسة وضعها الاجتماعي والاقتصادي ويجد الباحث ذلك على الرغم من أن نوال لديها وظيفة مهنية مرموقة إلى حد ما، إلا أنها لم تصنف طبقها الاجتماعية إلى مجموعات اجتماعية ثرية. (ب) دراسة حياتها كروائية، كانت نوال السعداوي هي واحدة من عدة كتاب المصريين المعاصرين أكثر قراءة من قبل الرجال والنساء على حد سواء، وقد تُرجمت كتبها إلى ما لا يقل عن 12 لغة، ككاتبة أثرت في ما وراء شبه الجزيرة العربية وحول العالم. والموضوع الرئيسي لعملها الأدبي حتى الآن هو الحياة الجنسية للمرأة العربية. وتستخدم السعداوي الكتابة الأدبية كوسيلة للتحرر من القيود التي تفرضها الأبوية والاستعمار، ومع كل شهرتها كروائية، واجهت نوال تحديات مختلفة، انتقادات، والسجن، والدعاوى القضائية، وإجبارها على التنازل عن جنسيتها، والفتوى بالردة. (ج) دراسة أيديولوجيتها ورؤيتها العالمية حيث كانت نوال السعداوي ناشطة نسوية تتمسك بفكر الاشتراكية، تنتقد كثيراً السياسات الاقتصادية الرأسمالية وشديدة القسوة على أمريكا التي تنتمها بالإرهاب الحقيقي، لكونه السبب الرئيسي للصراعات في فلسطين والعراق. وتعلق برؤية نوال العالمية الأوضح والتي التزمت بها حتى وفاتها والتي نقلتها في العديد من رواياتها، بما في ذلك الرواية التي درسها الباحث وهي حول إنكارها لتشويه الأعضاء التناسلية الأنثوية في مصر وحول العالم. فأما بالنسبة إلى تأثير الرواية، فكان على مر السنين، جربت السعداوي لغات وأنماط وأفكار وأنواع مختلفة في كتابة رواياتها، وبالتالي قدمت العديد من الإسهامات في الأدب العربي كليا. ومع ذلك، وعلى الرغم من هذه التجارب، فإن أحد الأمور الثابتة في عملها هو تفانيها الراسخ في خدمة قضية المرأة في العالم العربي. وتستحق رواية امرأة عند نقطة الصفر لنوال السعداوي من مصر سمعتها كواحدة من أقوى العروض في الأدب الأفريقي عن اضطهاد المرأة من قبل المجتمع الأبوي الظالم، وهكذا فإن رواية امرأة عند نقطة الصفر ليست مجرد رواية: إنها رسالة مقاومة لجميع النساء: رسالة تشجع النساء على رؤية أنفسهن لسن وحدثن، لأنهن في مثل هذا التضامن يجدن الشجاعة لإنهاء القهر وتحقيق الإنجاز. العدل والحرية لأنفسهم وللمجتمع بأسره. والتأثير الواضح لهذه الرواية هو أن هذه الرواية التي تحتوي على رؤية نوال العالمية ضد ختان الإناث المصرية، أثارت حركة ضد ختان الإناث تقودها المرأة المصرية على المستوى الوطني.

مرجع

- Aghacy, S. (2001). Nawal El Saadawi: Better to Pay and be Free than to Pay and be Oppressed. *Al-Raida*, 18(5), 1.
- Amani Abdel Fattah, D. (2022). Harassment Against Female, Some Facts From Egypt. *Forensic Sci. Appl. Toxicol*, 22(1).
- Ana Rojas Martín. (2019). *Biopolitics of Sex Work: The instrumentalization of political power over women in Egypt (1830-1958)*. Berlin. Retrieved from https://www.researchgate.net/publication/335882829_Biopolitics_of_Sex_Work_The_instrumentalization_of_political_power_over_women_in_Egypt_1830-1958
- Angela Johnson, N. E.-S. (1992). Interview: Speaking at Point Zero: 'Oob' Talks with Nawal El-Saadawi. *Off Our Backs*, (22), 1-7. Retrieved from

- <http://www.jstor.org/stable/20833964>
- Biancani, H. H. dan F. (2017). *No Title*. Leiden: Brill Publishers.
- Cuno, K. M. (1995). Joint Family Households and Rural Notables in 19th-Century Egypt. *International Journal of Middle East Studies*, 27(4), 485–502. Retrieved from <https://www.jstor.org/stable/176366>
- Diana T Laurenson, A. S. (1972). *The Sociology of Literature*. New York: Schocken Books.
- Fund, U. N. C. (2013). *Violence Against Children In Egypt*. Kairo: UNICEF.
- Gharbi, N. E. S. dan R. (1987). International Interview: Nawal El Saadawi. *Off Our Backs*, 17(2), 8.
- Hiddleston, J. (2010). Imprisonment, Freedom, and Literary Opacity in the Work of Nawal El Saadawi and Assia Djébar. *Feminist Theory*, 11(1), 171.
- Holborn, H. dan. (2008). *Sociology: Themes and Perspectives*. London: Harper Collins Publishers.
- Horst, N. E. S. dan A. S. N. (2008). Conversations with Nawal El Saadawi. *Board of Regents of the University of Oklahoma*, 82(1), 55.
- Lukacs, G. (1963). *The Meaning of Contemporary Realism*. London: Merlin Press.
- Marx, E. (1958). *Selected Works, Vol II*. Moscow: Foreign Languages Publishing House.
- Nasser, S. S. (2014). Arab Women Writers as Revolutionary Orators and Catalytic Agents of Emancipation. *CLCWeb: Comparative Literature and Culture*, 16(3), 4.
- Newson-Horst, A. (2010). *The Essential Nawal El Saadawi: A Reader (Zed Essential Feminists)*. New York: Zed Books.
- Obika, C. T. O. dan A. N. (2018). The Power of literature and Sustenance of Human Dignity in the 21st Century: a Study of Nawal El Saadawi's Woman at Point Zero. *International Journal of English Literature and Social Sciences*, 3(4), 556–557.
- Ojiakor, D. C. T., & Obika, D. A. N. (2018). The Power of literature and Sustenance of Human Dignity in the 21st Century: a Study of Nawal El Saadawi's Woman at Point Zero. *International Journal of English Literature and Social Sciences*, 3(4), 556–562. <https://doi.org/10.22161/ijels.3.4.12>
- Otu, O. O. (2016). Prostitution: The Economics of Sex and Power Dynamics in El Saadawi's Woman At Point Zero, Adimora-Ezeigbo's Trafficked and Unigwe's On Black Sisters Street. *World Journal of English Language*, 6(4), 8. <https://doi.org/10.5430/wjel.v6n4p8>
- Owen, R. (1996). The Population Census of 1917 and its Relationship to Egypt's Three 19th Century Statistical Regimes. *Journal of Historical Sociology*, 9(4), 457–472. <https://doi.org/https://doi.org/10.1111/j.1467-6443.1996.tb00107.x>
- Palmer, E. (2016). Nawal El Saadawi and the Female Predicament: A Study of Woman at Point Zero. *Journal of the African Literature Association*, 7(2), 88.
- Plekhanov. (1953). *Art and Social Life*. London: Lawrence & Wishart.
- Poetics, N. E. S. and A. F. (1995). *Men, Women, and God (s)*. London: University of California Press. Retrieved from [https://www.google.co.id/books/edition/Men_Women_and_Gods/4bjADwAAQBAJ?hl=en&gbpv=1&dq=Men,+Women+and+God\(s\)&pg=PA4&printsec=frontcover](https://www.google.co.id/books/edition/Men_Women_and_Gods/4bjADwAAQBAJ?hl=en&gbpv=1&dq=Men,+Women+and+God(s)&pg=PA4&printsec=frontcover)
- Royer, D. (2001). *A Critical Study of the Works of Nawal El Saadawi, Egyptian Writer and Activist*. Edwin Mellen Pr. Retrieved from <https://www.amazon.com/Critical-Saadawi-Egyptian-Writer-Activist/dp/0773475389>
- Saadawi, N. El. (1999). *A Daughter of ISIS The Autobiography of Nawal El Saadawi, terj. Sherih Hetata*. London: Zed Books.

- Saadawi, N. El. (2009). *Walking Through Fire*. London: Zed Books.
- Saadawi, N. El. (2018). *Women at Point Zero, terj. Amir Sutaarga, Perempuan di Titik Nol*. Jakarta: Yayasan Pustaka Obor Indonesia.
- Salti, R. S. dan R. M. (1994). Paradise, Heaven, and Other Oppressive Spaces: A Critical Examination of the Life and Works of Nawal el-Saadawi. *Brill*, 25(1), 154.
- Smith, S. (2007). Interview with Nawal El Saadawi (Cairo, 29th January 2006). *Feminist Review*, 85, 55–69. Retrieved from <https://www.jstor.org/stable/i30140899>
- Stael, M. de. (1959). *De La Litterature, Vol. I*. Paris: Minard.
- Swingewood, A. (1987). *Sociological Poetics and Aesthetic Theory*. New York: St. Martin's Press.
- Tachdjian, P. S. (2023). *La prostitution en Égypte de l'ère britannique au régime de Nasser (1882 à 1970)* (University of Ottawa). University of Ottawa. Retrieved from https://ruor.uottawa.ca/bitstream/10393/45189/1/Tachdjian%2CSahtine_20231_MRP.pdf
- Taine, H. (1906). *History of English Literature, Vol. I*. London: Chatto and Windus.
- Tarabishi. (1988). *Woman Against Her Sex: A Critique of Nawal el-Saadawi with a Reply by Nawal el-Sadaawi*. New York: Saqi Books.

Copyright Holder :

© Indah Sundari. Hardiansyah Masya, Nova Erlina (2024).

First Publication Right :

© Attractive : Innovative Education Journal

This article is under:

